عادل فتحي عبد الله

فن التعامل مع الجنس الآخر

الدار الذهبية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

[سورة الذاريات ، الآية ٤٩]



الحمد للّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين ، سيدنا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

وبعد :

فإن الحياة لا يمكن أن تقوم وتستمر بعيدًا عن التعامل بين الرجل والمرأة ، فالمرأة شريكة الرجل فى حياته ، فهى البنت والزوجة والأم ، وتشارك الرجل فى كثير من أمور الحياة ، فماذا تعرف عن الجنس الآخر ؟

هل معلوماتك عن الجنس الآخر صحيحة ؟ وهل يظن قارئ هذه السطور – سواء كان رجلًا أو امرأة – أنه بحاجة إلى معرفة المزيد من المعلومات عن الجنس الآخر ، والتى قد تساعده وتدفعه إلى تعامل أفضل مع الجنس الآخر ؟!

إذا كانت الإجابة عن الأسئلة السابقة بالإيجاب ، فإن هذا ما نرغب أن نوضحه للقارئ ، ونرجو أن نكون قد أصبنا جزءًا من الحقيقة ، وأن يكون هذا الكتاب خطوة فى طريق التعامل الصحيح مع الجنس الآخر ، فهو يجمع معلومات هامة ومفيدة عن الرجل والمرأة ، من حيث الصفات النفسية ، والطباع والخصائص ، والميول والرغبات ، والأهداف والغايات ، وطريقة التفكير ، والأسلوب الأمثل الذى يفضله كل منهما فى التعامل مع الأحداث ، وكيف ينظر كل منهما للآخر .

وهو يبين آراء الخبراء وعلماء النفس والتربية فى أفضل الطرق للتعامل مع الجنس الآخر ، فيناقش قضايا هامة بالنسبة للجنسين ، مثل قضية الحب قبل الزواج ، وكيفية اختيار شريك الحياة المناسب ، وقضية الخطوبة ، وطريقة التعامل بين الخاطب ومخطوبته ، ثم يتعرض لموضوع الزواج ، وصفات الزوج المثالى ، والزوجة المثالية ، والمشكلات الزوجية وكيف نجعلها عاملًا من عوامل نجاح الحياة الزوجية ، وطريقة التعامل مع الحموات ومع المرأة فى خريف العمر .

مستعينًا فى ذلك كله بهدى الكتاب العزيز - القرآن الكريم - والهدى النبوى الشريف ، وما توصل إليه العلم فى مجالاته المختلفة ، وما أجرى من أبحاث ودراسات حول ما ذكرناه من مواضيع مختلفة ، كل ذلك بأسلوب بسيط ، بعيدًا عن الإطالة المملة ، أو الاختصارات المخلة ، ولا نزعم أن كل ما ذكرناه صوابًا ، وليس أحد معصوم إلا رسول اللَّه ﷺ ، وكل مجهود بشرى لا يخلو من قصور .

فنسأل اللَّه العلى القدير أن يعفو عن زلَّاتنا ، ويتجاوز عن سيئات القارئ وعن سيئاتنا ، وأن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتنا ، وحسنات إخواننا المسلمين وأخواتنا .

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين .

عادل فتحى عبد اللَّه

دمنهور فى ٢٨ من محرم ١٤٢١ هـ

الميلان الفطرى لكلا الجنسين نحو الآخر

شاءت إرادة الحكيم الخبير أن يخلق من كل شىء زوجين ، قال تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [1] .

فقانون الزوجية يحكم الأرض ، سواء شئنا أم أبينا ، ومن يتغافل عن هذا القانون فإنما يصطدم مع الفطرة ومع نواميس الكون .

والذى يهمنا هنا الزوجية بين بنى الإنسان ، فقد جعل الله بين الذكر والأنثى ميلانًا فطريًّا قويًّا ، وبمقارنة الإنسان بسائر المخلوقات - وخاصة الحيوانات - من الناحية الجنسية ، نجد أن الإنسان هو أشدها وأقواها غريزة ، فهناك كثير من الحيوانات هذه الغريزة عندها موسمية ترتبط بوقت معين أو بفصل معين من فصول السَّنة ، بخلاف الإنسان والذى لا ترتبط عنده هذه الغريزة بوقت معين ، ليس هذا فحسب ولكن هذه الغريزة عند الإنسان منْ أقوى الغرائز ، بل ربما كانت هى أقواها ، وربما غلبت غريزة حب الحياة فى كثير من الأحيان ، وخصوصًا فى مرحلة الشباب ، ولقد أودع الله - عَزَّ وَجَلَّ - فى كل من الرجل والمرأة ما يجذب أحدهما الآخر ، ويجلعه يميل إليه ويطلبه ؛ سواء كان ذلك فى التركيب الجسمى أو التكوين النفسى ، حتى أن الحركات والأصوات لتصبح عامل هام من عوامل الجذب بينهما ، كما أن الميلان العاطفى بين الجنسين ميلان فطرى غير مكتسب ، فلدى كل منهما حب الجنس الآخر ، والانجذاب إليه ، والتأثر به .

« ثم إنك إن تأملت نظام الجسم الإنسانى ، علمت أن ما أودعه من مخزون القوة العظيم ، هو فى الوقت نفسه قوة الحياة ، وقوة العمل ، وقوة الوظيفة الجنسية ، فالغدد (Glands) التى تهيئ لأعضاء الإنسان

(١) سورة الذاريات ، الآية (٤٩) .

الحادثات (Hermenes) وتبعث فى جسمه قوة العمل والفطنة والنشاط ، هى التى قد وكل إليها أن تنشئ فيه قوة الوظيفة الجنسية ، وتنمى فيه العواطف المحركة لهذه القوة وتزوده بصنوف الأدوات من الجمال والرواء والوضاءة والروعة لاستثارة تلك العواطف . ثم تبعث فى ناظرته وسامعته وشامته ولامسته ، وحتى فى مخيلته صفة التأثر بتلك الأصوات الجمالية ، وهذه الحكمة والتدبير نفسه ، قد راعته الفطرة فى قوى الإنسان النفسية ، فكل ما أودعته نفس الإنسان من القوى المحركة تتصل أسبابها بغريزتين قويتين : إحداهما التى تحفزه على حفظ وجوده وخدمة ذاته ، والأخرى التى تدفعه إلى التعلق بالجنس المخالف ، ففى عهد الشباب حينما تكون القوة العملية فى الإنسان على أشدها تبلغ هذه الغريزة الثانية من القوة والشدة أنها كثيرًا ما تقهر الأولى ، ويبلغ من تأثيرها فى الإنسان أنه ربما لا يتردد فى الإلقاء بنفسه إلى التهلكة وهو يعلم ! »[1].

لذلك فإن الإسلام دين الفطرة لم يأت ليكبت هذه الغرائز أو ليحتقرها وإنما جاء ليهذبها وليوجهها وجهتها الصحيحة النافعة لبنى الإنسان ، جاء الإسلام ليقول : وداعًا للرهبانية التى ابتدعها الناس ، وليقرر أن الزواج سُنَّة من سُنن الفطرة ومن سنن خاتم النبيين محمد ﷺ حين جاء ثلاثة نفر يسألون عن عبادته عليه الصلاة والسلام فكأنهم تقالّوها ، وقالوا : أين نحن ورسول الله ﷺ وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ثم قال أحدهم : أما أنا فإنى أصلى الليل أبدًا ، وقال الآخر : أنا أصوم الدّهر ولا أُفطر ، وقال الثالث : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا .

فجاء رسول الله ﷺ وقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أَصوم وأُفطر ، وأُصلِّى وأرقد ، وأتزوج النِّساء ، فَمَنْ رغب عن سُنتى فليسَ منِّى »[2].

---

(١) عن كتاب « الحجاب » أبو الأعلى المودودى .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

ولم يحتقر الإسلام الرغبة الجنسية البحتة ، بل جعل عليها أجرًا وثوابًا بين الزوجين ، فقال عليه الصلاة والسلام : « وفى بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يا رسول الله أيقضى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم إن وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ قالوا : نعم قال : كذلك إن وضعها فى حلال كان له فيها أجر »[1] .

ولما كانت الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز لدى الإنسان وهى أقواها وأشدها فى مرحلة الشباب خاصة ، لذلك كانت وصية رسول الله ﷺ للشباب بالزواج لمن استطاع الباءة ، قال عليه الصلاة والسلام : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[2] فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (يعنى وقاية) »[3] .

كما كان تحذيره عليه الصلاة والسلام من فتنة النساء حين قال : « ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء »[4] .

« اتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء »[5] .

ومن أجل ذلك أيضًا فإن الشيطان – وهو العدو الأول للإنسان – يبث سمومه للناس عبر الغريزة الجنسية ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا بَنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[6] .

وفى الحديث الشريف : « إن المرأة تقبل فى صورة شيطان ، وتدبر فى صورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله ، فإن ذلك يرد مما فى نفسه »[7] .

---

(١) رواه مسلم . (٢) الباءة : يعنى المقدرة على الزواج .

(٣) ، (٤) ، (٥) رواهم البخارى ومسلم .

(٦) سورة الأعراف ، الآية (٢٧) . (٧) رواه أحمد .

(وفى النهاية صارت المرأة عدوة نفسها لقول عمر رضى الله عنه فيهن : « يا عدوات أنفسكن » [1] باعتبارها وسيلة الشيطان إلى نفسها) [2] .

ولقد شاءت إرادة الخالق سبحانه وتعالى أن تصبح الغريزة الجنسية بهذه القوة لدى الإنسان حتى يستمر بقاء النوع الإنسانى ، ولكى يرتبط الرجل والمرأة فى الحياة ارتباطًا وثيقًا بميثاق غليظ ، فيصبحا زوجين متلازمين طيلة حياتهما ، ويسيرا فى الحياة جنبًا إلى جنب لإعمار الكون ، ولتحقيق منهج الله - عَزَّ وَجَلَّ - فى الأرض ، وليس الارتباط بين الذكر والأنثى فى الجنس البشرى ارتباطًا جنسيًّا فحسب كما هو فى سائر الحيوانات ، وإنما ارتباط عاطفى وقلبى وروحى كذلك .



(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) انظر : « عندما ترعى الذئاب الغنم » ، رفاعى سرور (ص ٦١) .

حدود الشهوة الجنسية

وكما أن الإسلام يرفض الرهبانية ، والوقوف ضد الفطرة الإنسانية ، ومتطلبات النفس البشرية ، فإنه كذلك يرفض الشهوانية الحيوانية ، ومجاوزة حد الاعتدال والقصد فى الشهوة ، أو جعلها مدار الحياة كلها ، أو أن يقعد الإنسان فى طلبها والسعى الحثيث نحوها دون سائر أمور الحياة ، فطغيان الشهوات على حياة الإنسان فيه هلاكه وخراب داره ومُستقرِّه ، والناظر المعتبر لحياة الأمم السابقة وحضاراتها يرى أنها قد انتهت وسقطت فى الهاوية بعد أن سيطرت الشهوات على أصحابها ، وملكت عليهم زمام عقولهم ، فأصبح أدبهم أدب العُرى والفجور ، وأصبحت فنونهم فنون السقوط والانحلال ، فضعف النسل ، وضعف العقل ، وكانت النهاية بعد حين .

وإن البشرية لتسعى حثيثًا نحو حتفها حين تجعل من كل شىء فى الحياة مثيرًا للغريزة الجنسية ، وكما هو كائن اليوم فى الغرب ، وفى أدبياته ، فالشعر الناجح عندهم هو الذى يتحدث عن الجنس ، والقصة الأكثر انتشارًا هى التى تمجِّد أمور الجنس .

« وفى إحدى المؤتمرات الغربية صرَّح أحد الأخصائيين بأن : (موجة من هستيريا الجنس) تجتاح العالم منذ سنوات - عديدة - وترتب عليها زيادة نسبة المواليد غير الشرعيين فى أكثر العالم ، ويرجع ذلك إلى تفكك الروابط العائلية ، وإلى المثل السيئة التى يضربها الآباء والأمهات للأبناء والبنات ، وإلى رواج الخمور والمكيفات والمثيرات الجنسية فى السينما ، والصحف والمجلات »[1] .

وهذا ما حدا بمفكرى الغرب وقادته بالصراخ والتحذير من انهيار

---

(١) « المرأة بين الفقه والقانون » ، د/ مصطفى السباعى .

الحضارة الغربية وتدمير مستقبل البلاد ، ولا ننسى تصريح الرئيس الأمريكى « جون كنيدى » ، وكذلك الروسى « خرشوف » عام ١٩٦٢ حين قال كل منهم : « إن مستقبل بلاده فى خطر ، لأن الشباب هناك مائع منحل غارق فى الشهوات » .

ويقول « ماكنيل » : « إن الحضارة الغربية فى الطور الأخير من أطوار حياتها لأشبه بالوحش الذى بلغت شراسته النهاية فى انتهاكه لكل ما هو معنوى ، وبلغ اعتداؤه على تراث السلف وعلى كل مقدّس ومحرَّم قمته » .

وقد انتصب عدد من حكماء الغرب وفلاسفته لدعوة قومهم إلى الأخذ عن الشريعة الإسلامية ، وتصحيح النظر إلى الإسلام ، وإلى منهجه فى علاج المجتمع وفى نظرته للحياة ، وفى وسطيته ومراعاته للفطرة الإنسانية ، ومن هؤلاء الكاتب الإنجليزى الشهير « برناردشو » فى كتابه « الزواج » حين توقع أن شعوب أمريكا وأوربا ستهتدى للإسلام بعد حين ، كما رشح « ديباسكيبة » المفكر الفرنسى الشهير الإسلام كمنقذ للبشرية من الضلال والفساد الذى يرنو على قلوبها فقال [1] : « إن الغرب لم يعرف الإسلام أبدًا ، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفًا عدائيًّا منه ، ولم يكف عن الافتراء عليه ، والتنديد به لكى يجد مبررات لقتاله ، وقد ترتب على هذا أن رسخت فى العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام . ولا شك أن الإسلام هو الوحدانية التى يحتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة والتى لا بد أن استمرت أن تنتهى بتدمير الإنسان » ، ومن أجل أن تكون الشهوة الجنسية منضبطة متوازنة مع سائر حاجات الإنسان ومتطلباته فى الحياة ، فقد وضع الإسلام ضوابط على الرجل والمرأة إن اتبع كل منهما هذه الضوابط نال ما يريد من مُتع الحياة من غير أن يضر نفسه أو غيره ، ومن هذه الضوابط : تحديد العلاقة بين الجنسين ، أو ما نسميه بلغة العصر :

---

(١) عن مجلة « الأمان اللبنانة » عدد ٥٧ - مارس ١٩٨٠ .
انظر : « الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمى » ، عبد الله ناصح علوان .

حدود الاختلاط بين الجنسين

لقد جاءت إلى بلادنا الإسلامية عدوى الاختلاط بين الجنسين من بلاد الغرب ، ولم تكن بلاد الإسلام تعرف الاختلاط بهذه الصورة الوقحة التى عرفتها بلاد الغرب ، وبالرغم من أن الاختلاط بصورته المستوردة من بلاد الغرب لم يأت من وراءه إلا الخراب والدمار ، إلا أننا تتبعنا سننهم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع ، والاختلاط هذا كان جناية على المرأة أكثر من الرجل ، كما هو جناية على المجتمع ككل فى النهاية ، تقول الكتاتبة الإنجيزية « اللادى كوك » فى جريدة (الايكو) : « إن الاختلاط يألفه الرجال ، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها ، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا ، وهاهنا البلاء العظيم على المرأة »[1].

وإن مجتمعنا ليحسُّ آثار الاختلاط خصوصًا فى المدارس والجامعات ، وإن شبح (الزواج العرفى) الذى سرى بين بعض الشباب والفتيات فى الجامعات ليدعو أولوا البصائر إلى الوقوف أمام هذا السيل الجارف من انتهاك الحرمات تحت مسميات مختلفة ، وإن هذا يدعو أولى الأمر على العمل تدريجيًا على إنشاء مدارس وجامعات غير مختلطة ، والدعوة إلى الفضائل ، والتحلى بمكارم الأخلاق ، ونتيجة للآثار المأساوية للاختلاط اضطرت دول كثيرة إلى فتح جامعات غير مختلطة ، ففى أمريكا أكثر من (١٠٠) من فروع الجامعات الغير مختلطة ، كذلك فى روسيا أيضًا فروع جامعية غير مختلطة ، وفى بعض دول أوربا مدارس غير مختلطة ، وحتى فى المراحل الأولى من التعليم كما فى بلجيكا .

هذا عن اختلاط الرجال بالنساء فى النوادى والمسارح والسينما والجامعات والمدارس والحفلات ونحوها مما يكون فيه نظرات خائنة وتبرج

---

(١) مجلة المنار (٤٨٦) ، وانظر كتاب « المرأة بين الفقه والقانون » .

فاحش ولمسات وضحكات مستهترة وغيرها مما يغرى الشباب ليقع فى الرذيلة أو يقترف الآثام .

أما « اللقاء بين الرجال والنساء فى ذاته ليس محرمًا ، بل هو جائز أو مطلوب شرعًا إذا كان القصد منه المشاركة فى هدف نبيل من علم نافع أو عمل صالح أو مشروع خير أو جهاد لازم »[1] .

فليس المقصود من منع الاختلاط هو أن لا يرى الرجال النساء أو لا ترى النساء الرجال مطلقًا ، فإن هذا ليس معقولًا ، ولكن قد تحتاج المرأة لأن تبيع أو تشترى من الرجال أو تطلب العلم أو غير ذلك من أمور الحياة المختلفة ، وفى ذلك يقول الماوردى وهو يتحدث عن أعمال المحتسب[2] : : وإذا رأى وقفة رجل مع امرأة فى طريق سابل[3] لم تظهر منهما أمارات الريب لم يعترض عليهما بزجر ولا إنكار فما يجد الناس بدًا من هذا »[4] .

لكن المرأة المسلمة حين تخرج لحاجة ما ، فإنها ليست كالمرأة الغربية التى تلبس ما يستر الجسد ، وتتزين بكافة أنواع الزينة حتى تحلو فى أعين الرجال .. كلا ، فالمجتمع المسلم من المفترض أنه مجتمع تحكمه العفة والطهارة ، يحارب الرذيلة بكل صورها ، بل يحارب مقدماتها ، وأول مقدماتها النظرة الحرام ، فقد أمر الشارع عَزَّ وَجَلَّ عباده المؤمنين بغض البصر ، ثم أمر النساء ألا يبدين زينتهن للرجال إلا ما ظهر منها وهو الوجه والكفان ، على الأكثر ، وحارب الإسلام الفاحشة وجعل لها أقصى العقوبات وأشدها .

ومن ثم حث الإسلام المرأة على :

---

(١) « ملامح المجتمع المسلم » ، د / يوسف القرضاوى ، وانظر : « فتاوى معاصرة » (٢٧٧/٢) لنفس المؤلف .

(٢) المحتسب : « هو من يقوم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » .

(٣) طريق سابل : المقصود طريق عام .

(٤) « الأحكام السلطانية » للقاضى أبى الحسن الماوردى (ص ٢٩٤) .

١ – غض البصر والالتزام بستر العورة :

قال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ... ﴾[1] .

وقال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار ، لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا ... »[2] .

٢ – عدم اللين فى القول لاستمالة قلوب الرجال :

قال الله تعالى : ﴿ ... فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ... ﴾[3] .

٣ – عدم الخلوة مع الأجانب :

وذلك لأن النفس بطبيعاتها أمارة بالسوء ، والرجال والنساء بطبيعتهم يميلون لبعضهم البعض ، وعند خلوة الرجل والمرأة ، قد يوقع الشيطان بينهما فيحدث ما لا يحمد عقباه ، ولا ينفع الندم بعد ذلك ، يقول ﷺ : « لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذو محرم »[4] .

٤ – ألَّا تستعطر عند الخروج :

إن الله سبحانه وتعالى وضع فى حركات المرأة وطريقة كلامها ، وكذلك رائحتها عامل جذب للرجل ، فالمرأة حين تضع عطرًا جذابًا ، ثم تمر على الرجال فإن العطر يحرك الشهوة فى قلوبهم نحو هذه المرأة ، وفى هذا إيذاء للمرأة ، لذلك أمر رسول الله ﷺ النساء بألَّا يستعطرن إذا أردن

---

(١) سورة النور ، الآية (٣١) . (٢) رواه مسلم .
(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان (٣٢ ، ٣٣) .
(٤) رواه البخارى ومسلم .

الخروج من المنزل ولو ذهبن حتى إلى المسجد ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبًا »[1].

وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام : « المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجالس فهى كذا يعنى زانيه »[2].

٥ - ألا تسافر المرأة وحدها سفرًا طويلًا :

وذلك حفاظًا على المرأة حتى لا يصيبها سوء من أحد من المنحرفين ، قال عليه الصلاة والسلام : « لا تسافر المرأة مسيرة يوم وليلة إلا ومعها محرم »[3].

وفى الحديث أيضًا : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرًا يكون ثلاثة أيام فصاعدًا إلا ومعها أبوها ، أو أخوها ، أو زوجها ، أو ابنها ، أو ذو محرم منها »[4].

وفى رواية أخرى : « لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها »[5].

والظاهر من اختلاف الأحاديث فى عدد الأيام أن ذلك يختلف حسب الأحوال وتوفر الأمن فى السفر ، وقد أفتى بعض العلماء بجواز السفر إن كانت المرأة فى صحبة رفقة مأمونة .



---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه .
(٥) رواه البخارى ومسلم .

الرجل والمرأة ، وفروق بين الجنسين

نهدف من وراء هذا الفصل إلى الوصول إلى طريقة أفضل للتعامل بين الجنسين ، عن طريق فهم شخصية كل من الرجل والمرأة ، والدوافع التى تكمن وراء تصرفات وأفعال كل منهما ، وطريقة ومدى تأثر كل منهما بالأحداث اليومية التى تمر عليه ، والنتائج المتوقعة من كل من الرجل والمرأة تجاه ما يواجه كل منهما فى معترك الحياة ، وليس أحد يطعن فى أن ثمة فوارق جنسية وجسدية ونفسية وعقلية بين الجنسين ، وليس معنى وجود فوارق بينهما ، تفضيل أحدهما على الآخر ، كلا ، فهذه مسألة محسومة ، فالمرأة إنسان بكل ما تحمل الكلمة من معنى كإنسانية الرجل ، سواء بسواء ، وهى مكلفة كما هو مكلف من قبل الخالق جل وعلا ، بأمور العبادة وعمارة الأرض ، حسب ما شرع لها ، قال الله تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [1] .

وإن تفضيل أحدهما على الآخر ليس تفضيل جنس على جنس وإنما هو تفضيل وظيفى بمعنى أن الرجل مثلًا يصلح لقيادة الأسرة ، وتحمل تبعات الحياة والجهاد لتحرير الأرض وحماية العرض ... إلخ ، والمرأة تصلح للأمومة ورعاية الأبناء والأسرة وتدبير شئون المنزل ونحو ذلك ، مع عدم الخلاف فى أن المرأة يمكن أن تقوم بأعمال كثيرة يقوم بها الرجال ، لكن ليس على سبيل العموم .

هذا وقد اختلف العلماء والباحثون هل الفروق الكائنة بين الرجل والمرأة فى النواحى العاطفية والنفسية والعقلية والاجتماعية بصفة عامة ،

(١) سورة النحل ، الآية (٩٧) .

فطرية يولد بها كل من الذكر والأنثى أم مكتسبة تؤثر فيها البيئة بدرجة كبيرة أو تصنعها البيئة وليست فطرية لدى الجنسين ؟! ومن المؤكد أن هناك بعض الصفات المكتسبة لدى الجنسين يكتسبها الطفل منذ نعومة أظفاره ، عن طريق تعامل الأهل والأقارب معه بطريقة معينة ، ومن المؤكد أيضًا أن هناك صفات نفسية أخرى كثيرة يتميز بها كل جنس عن الآخر هذه الصفات فطرية فى كل جنس ، يولد بها ، وتؤثر فى سلوكه تأثيرًا مباشرًا .

يقول الدكتور « سبوك » فى كتابه « حديث إلى الأمهات » : « أنا شخصيًا أرى أنه برغم عدم وجود فوارق محددة وفاصلة فى الطبيعة النفسية بين الذكر والأنثى عند الميلاد ، إلا أن هناك أيضًا فروقًا تطفو على السطح منذ ساعة الميلاد ، وبعد ذلك تنمو هذه الفروق وتصبح واضحة المعالم ، ويصبح من السهل أن نميز بين الفتى والفتاة ، طبعًا بدرجات متفاوتة تزيد أو تقل حسب أساليب التربية ، ومن خلال ملاحظاتى كطبيب أطفال ، أرى أن الذكور عادة يتميزون بالقلق والعناد والإصرار منذ الميلاد ، وأن أكثر الإناث يستسلمون لتيار الحياة السهلة ، حتى وهن فى عربة الأطفال الرضع ، إن الذكر يُحارب حتى ولو مع نفسه ، والفتاة تسترخى وتستمتع بدون حرب .

وهناك صعوبة دائمًا فى تدريب الأطفال على التبول والتبرز ، إنهم أكثر عنادًا من البنات فى هذه المسألة ، وعندما يكون عمر الطفل بين السنة والسنتين ، وعندما لا نفرق بين لعب الأولاد والبنات ، فإننا نجد أيضًا بعض الفروق واضحة ، عندما يزورنى فى عيادتى الطبية طفل للكشف عليه ، فإنه يأخذ منى جهاز فحص الأذن ليبعث به ، وهو جهاز يعمل بالبطارية وبه عدسة توضح للطبيب حالة الأذن من الداخل ، وعندما يقع هذا الجهاز فى يد الطفل فإنه يظل يحاول أن يفك بعض أجزائه أو يحرك أى شيء فيه يمكن أن يتحرك ، ويحاول أن يفصل المرآة العاكسة ، ثم يحاول أن يدير هذا الجهاز ، ويبكى كثيرًا عندما تنتهى الزيارة لأنه يريد أن يأخذ هذا

الجهاز معه إلى المنزل . وهذا مثال بسيط على حب الأجهزة الميكانيكية ومحاولة فكها وإعادة تركيبها رغم عدم معرفته بفائدتها ، وكثيرًا ما حاولت أن أقدم جهاز فحص الأذن لطفلة فى نفس العمر لكن أى فتاة كانت تبتسم فى سعادة كأنها تشكر لى ذلك ، وتنظر إلى الضوء الصادر من هذا الجهاز ، وقد تلحس الضوء بطرف لسانها ، ثم تترك الجهاز بهدوء ، ولا تحاول أن تفك فيه أى شيء كما يحاول أي طفل » .

تلك كانت شهادة من طبيب أطفال مرت عليه مئات ، بل آلاف الحالات والتى شاهد من خلالها فروقًا نفسية واضحة بين الجنسين منذ الميلاد ، تزداد هذه الفروق وضوحًا وبيانًا مع مرور الوقت والعمر ، والأمر يتضح لكل أب ولكل أم ولا يحتاج أدلة أو براهين ، ولكننا هنا نسوق هذه الفروق ، لأننا كلما ازددنا فهمًا لطبيعتنا ولنفسية الجنس الآخر ، كلما أحسنا التعامل معه ، فهذه الفروق بين الجنسين جعلها الله تعالى بين الذكر والأنثى لينجذب كل منهما للآخر ، فالرجل يحب ما فى المرأة من صفات تختلف عن صفاته ، وهى تحب ما فى الرجل من صفات تختلف عن صفاتها ، وربما هذا هو سرّ الجاذبية بين الجنسين .



افهم المـرأة تُـسحن التعامل معها

المـرأة والعاطفـة :

لقد خلق الله تعالى الرجل والمرأة ، وجعل لكل منهما دور فى الحياة يختلف عن دور الآخر ورسالته ، وبالتالى وجدنا أن كل منهما له صفاته الجسمية والنفسية التى تميزه ، والتى تؤهله لأداء دوره والقيام بأعباء رسالته ، وأكبر دور تلعبه المرأة فى حياتها هو دور الأمومة ، وهـو دور ليس سهلًا أو هينًا ، وليس صغيرًا أو حقيرًا ، ولكنه دور هام وعظيم وصعب وله أكبر الأثر فى المجتمع ، ولذلك كانت « سيكولوچية المرأة سيكولوچية أم »(١) بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى .

وكذلك فقـد زود الله تعـالى المرأة بكل ما ينفعهـا فى أداء رسـالتهـا كأم في الحياة ، « وهـذا علم الأحياء Biology قد أثبتت بحـوثه وتحقيقـاته أن المرأة تختلف عن الرجل فى كل شىء من الصورة والسمت والأعضاء الخـارجية إلى ذرات الجسم والجواهـر البروتينية لخلاياه النسيجية Moleculesof tissue celprotien ، فمن لدن حصول التكوين الجنسى Formotion six فى الجنين ، يرتقى التركيب الجسدى فى الصنفين فى صورة مختلفة ، فهيكل المرأة ونظام جسمها يركب كله تركيبًا تستعد به لولادة الولد وتربيته ، ومن التكوين البدائى إلى سن البلوغ ينمـو جسم المرأة وينشأ لتكميل ذلك الاستعداد فيها ، وهذا هو الذى يحدد طريقها فى الأيام المستقبلة لها »(٢) .

« كما أن تركيب الجهاز العصبى عند المرأة يختلف قليلًا عن الرجل ،

---

(١) « كيف تفهم الناس » ، د/إبراهيم ناجى .
(٢) « الحجاب » ، أبو الأعلى المودودى .

فإن تأثير السموم وخاصة المورفين والكحول أشد على المرأة ، فهى تعتاد المورفين وتقع تحت تأثيره المرضى بسرعة ، كما أن التدخين المزمن عند المرأة يؤثر على الحيض ويؤدى إلى اختلال دورته » (١) .

« كما أن احتمال إصابة المرأة بالعدوى أقل من الرجل ، والإحصائيات تقول : إن نسبة الوفيات بين الرجال أكثر منها بين النساء ، كذلك بين الأطفال الذكور أكثر منها بين الأطفال الإناث .. الجنس الأنثوى له مقدرة أعلى فى مقاومة المؤثرات الضارة ، فهو يملك حيوية كبرى » (٢)، وذلك لما قد تعانيه المرأة من فترات ضعف فى حياتها ، أثناء الدورة الشهرية ، وأثناء الحمل ، وبعد الولادة ، لذلك فقد زودها الله تعالى بهذه المقدرة على مقاومة الأمراض ، بل وجعل قدرتها على تحمل الألم أعظم من قدرة الرجل على تحمله ، لأنها تتعرض له كثيرًا ، أكثر من الرجل ، ومن الملاحظ أن فترات الضعف التى تتعرض لها المرأة فى حياتها يكون لها تأثيرًا واضحًا على نفسيتها وخصوصًا أثناء فترة الحيض ، ومن هنا وجب على الرجل أن يراعى هذا الأمر ويُحسن التصرف معها ولا يعول كثيرًا على انفعالاتها ، والتى قد تكون خارجة عن إرادتها .

يقول الطبيب « كرافت ايبنج » : « إننا نجد فى حياتنا اليومية أن النساء اللاتى يكن لينات العريكة دمثات الأخلاق ، تتغير طباعهن بغتة فور دخولهن فى أيام الحيض ، وكأن هذه الأيام تمر بهن كمر العاصف يصبحن فيها متفجرات ، سليطات اللسان ، شديدات الخصام ، يشكو سوء خلقهن الخدم والأولاد والأزواج ، حتى الأجانب أيضًا لا يسلمون من سوء معاملتهن » (٣) .

وتكوين المرأة العاطفى والنفسى جُعل لكى يناسب وظيفتها فى الحياة ،

---

(١) «كيف تفهم الناس » ، د/إبراهيم ناجى .
(٢) « سيكولوچية المرأة » ، د/زكريا إبراهيم .
(٣) « الحجاب » ، أبو على المودودى .

ولكى يناسب الأدوار التى تقوم بها ، ومن ثم كانت حياة المرأة عاطفية بدرجة كبيرة ، ففيها صفات الرِّقة والعذوبة ، والمرونة ، والتأثر ، والتضحية ، واللين ، والانفعال ، والعطف .

وقد يظن البعض أن هذا ضعف من المرأة ، والحقيقة أن هذا منتهى القوة ومنتهى الحكمة ، لأنه يكمل الصفات التى يحتاجها الرجل ، حيث أن الرجل والمرأة خلقا ليكمل بعضهما البعض ، فالمسألة بينهما ليست مسألة تفاضل ولكنها مسألة تكامل ، كلٌّ قد زوده الله تعالى بما يناسب وظيفته فى الحياة ، كالليل والنهار ، فالمرأة لا تحتاج لقوة العضلات لتحمل وليدها وتعطف عليه وإنما تحتاج العطف والحنان والتضحية ، وهى تحتاج العذوبة والرِّقة حتى تستميل قلب الزوج ، وحتى تزيل همومه ، ويستريح للسكن إليها والركون إليها ، وهى تحتاج للانفعال والتأثر حتى تكون خاضعة للزوج غير متعجرفة ولا متكبرة ، وحتى تكون سريعة التأثر بأبناءها وتكون شديدة الخوف عليهم ، فتحميهم بذلك من المخاطر التى قد يتعرضون لها ، ولولا هذه العاطفة الجياشة لدى المرأة لما استطاعت الصبر على تربية الأبناء والقيام بمطالبهم والسهر على راحتهم ، وخاصة فى المراحل الأولى من حياتهم ، لأن مرحلة الطفولة عند الإنسان كبيرة نسبيًّا إذا ما قورنت بمراحل الطفولة عند الحيوان .

فالعاطفة عند المرأة تجعلها أشد إخلاصًا فى العمل الذى تقوم به ، بل تجعلها على استعداد كبير للتضحية وربما بدون مقابل ، ويتضح هذا أكثر عند الكوارث والحروب ، فتجد النساء لا يبخلن بالتضحية والفداء من أجل المجتمع ، فيقمن بخدمة التمريض ، والرعاية للمرضى والسهر على راحتهم ، وتضميد جراحاتهم .

وعاطفة المرأة الجياشة تجعلها سريعة التأثر ، وسريعة الانفعال ، كما إنها لا تنسى الإساءة بسرعة ، لقوة حساسيتها تجاه ذلك .

المرأة بين العاطفة والعقل :

لقد ظلت البشرية دهرًا طويلًا تتعامل مع المرأة على أنها ناقصة الأهلية ، بل تعاملت معها على أنها أقل مرتبة من الرجل ، حتى جاء الإسلام ليرد إلى المرأة اعتبارها وليكرمها ، وليقرر مساواتها بالرجل فى إنسانيتها ، فهى إنسان مثله تمامًا وليست أقل منه مرتبة ، ففى الحديث الشريف : « النساء شقائق الرجال » .

فى حين أن الشرائع السابقة [1] اتهمت المرأة فى إنسانيتها وفى عقلها ، فقد « كان فقهاء الرومان القدامى يعللون فرض الحجر على النساء لطيش عقولهن » .

« وكانت بعض طوائف اليهود تعتبر البنت فى مرتبة الخدم ، وكان لأبيها الحق فى أن يبيعها قاصرة » .

« وعقد الفرنسيون عام ٥٨٦ ميلادية مؤتمرًا للبحث فى موضوع هل تعد المرأة إنسانًا أم غير إنسان ؟ وقرروا أخيرًا إنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب » .

« والقانون الإنجليزى حتى عام ١٨٠٥ ميلادية كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته » .

« وحين قامت الثورة الفرنسية وأعلنت تحرير الإنسان من العبودية والمهانة لم تشمل المرأة ، وقد جاء النص فى القانون المدنى الفرنسى على أن القاصرين هم : الصبى ، والمرأة ، والمجنون ، واستمر ذلك حتى عام ١٩٣٨ م فعدلت عن هذه النصوص لمصلحة المرأة ، لكن لا تزال هناك بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة منها على سبيل المثال أن المرأة الفرنسية المتزوجة

---

(١) انظر : « المرأة بين الفقه والقانون » ص ١٣ وما بعدها .

لا يمكنها أن تتصرف بأموالها الخاصة ويجب عليها أن تحتفظ بحق الانفتاع للزوج »[1].

بينما الشريعة الإسلامية قد أعطت المرأة الأهلية الكاملة فى التصرف فى أموالها الخاصة ، حتى وإن كانت متزوجة .

وقد يسأل سائل إذًا فما معنى أن النساء ناقصات عقل ودين ؟! لنذكر الحديث النبوى الشريف الذى يوضح هذا المعنى : « خرج رسول الله ﷺ فى أضحى أو أفطر[2] إلى المصلَّى ، فمرَّ على النساء ، فقال : يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإنى أريتكن أكثر أهل النار » فقلن : وبم يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للرجل الحازم من إحداكن » ، قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : « أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ؟ » قلن : بلى ، قال : « فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ » قلن : بلى ، قال : « فذلك من نقصان دينها »[3].

والظاهر من حديث رسول الله ﷺ أن نقصان عقل المرأة لا يعنى قلة ذكاءها إنما يعنى نسيانها وعدم تثبتها من الأمور ، وذلك لظروفها الخاصة كأنثى ، ولغلبة عاطفتها وفورانها مما يجعلها أكثر انفعالًا وأقل اتزانًا انفعاليًا من الرجل ، لذلك كانت شهادتها نصف شهادة الرجل ، والعلة فى ذلك : ﴿ ... **أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ** ... ﴾[4] يعنى أن شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل ، لكون الرجل أكثر تثبتًا فى الأمور ، بينما المرأة أكثر نسيانًا ، فإذا ضلت واحدة يعنى نسيت تذكرها الأخرى ،

(١) انظر : « المرأة بين الفقه والقانون » ص ١٣ وما بعدها .
(٢) أضحى أو أفطر : يعنى فى عيد الأضحى أو الفطر .
(٣) رواه البخارى . (٤) سورة البقرة ، الآية (٢٨٢) .

وهذا يؤيده ما ذكره فى « لسان العرب » من أن العقل معناه : « التثبت من الأمور » .

وباعتبار أن الذكاء له عناصر متعددة ، فإن علماء النفس يعتبرون أن عناصر الذكاء عند المرأة والرجل متساويتان « ولا ينقص المرأة فى عناصر الذكاء إلّا الانتباه لما يهم الرجال ، فحياة النساء تدور مع العاطفة ، وهذا لا يعنى أن العبقرية خاصة بالرجال فقط ، لكن عناصر الذكاء عند المرأة مُزجت بحيث أخرجت طرازًا مختلفًا »[1] .

هذا وقد أجريت اختبارات للذكاء ولقياس الفروق بين الجنسين فى الذكاء العام ، فوجد أن الفروق بين الجنسين فى هذا المجال طفيفة جدًّا بالمقارنة بين الفروق العقلية بين أبناء الجنس الواحد لدرجة تستحق الإهمال ، واعتبار أن الجنسين فى مستوى واحد تقريبًا من حيث العقلية ، هذا ما توصلت إليه اختبارات عديدة لقياس الفروق فى الذكاء العام بين الجنسين ، لكن هذه الاختبارات والأبحاث « قد أظهرت فروقًا هامة بين الجنسين فى النواحى العقلية الأخرى غير الذكاء العام ، فقد تفوق البنين فى الاختبارت العقلية التى تتطلب تعريف شىء ما أو إدراك التشابه بين الأشياء أو التعليل الحسابى ، بينما البنات تفوقن فى الاختبارات التى بها مفردات لغوية أو التى تتطلب إصدار حكم على القيمة الجمالية للأشياء المختلفة ، وقد ظهر تفوق البنات فى الإجابة على تلك الأسئلة التى تحتاج إلى حكمة وحسن تصرف فى أمور اجتماعية »[2] .

« ونحن إذا قلنا : إن الفروق العقلية بين الجنسين طفيفة فيما يختص بالذكاء العام ، فإن هذا لا يتنافى مع وجود فروق عقلية أخرى من حيث الاتجاهات العقلية المختلفة والمشارب والأهواء والميول التى يوجه إليها كل فرد عقله وهذه لا شك يختلف فيها الرجال والنساء . ومن المتفق عليه بين

---

(١) « كيف تفهم الناس » ، د/إبراهيم ناجى .

(٢) « نفسية المراهق » ، رياض محمد عسكر .

علماء النفس أن البنين يهتمون بالأفكار والآراء أكثر من اهتمامهم بالأشخاص الذين صدرت عنهم هذه الأفكار ، بينما البنات يهمهن الأشخاص أكثر من الآراء والأفكار ، فتهمهن الأشياء التى تدرك بالحواس ، بينما البنين يهتمون بالمعنويات .

أما فيما يختص بمواد الدراسة فالبنات أكثر ميلًا لأدب اللغة ، بينما البنون أكثر اهتمامًا بالرياضيات .. والأولاد البنين أكثر تقيدًا بالاستنتاج المنطقى وخطواته أثناء تفكيرهم من البنات اللاتى كثيرًا ما يهملن بعض خطوات التفكير ويصلن إلى نتائج خاطئة عن طريق التسرع .

أما الحفظ ، فإن البنات قد يفقن البنين ولكن البنين يفوقهن فى القدرة على تركيز الانتباه وحصره فى موضوع معين »[1] .

وقد أثبتت الأبحاث أيضًا أن المرأة لديها سرعة حكم الحواس أكثر من الرجل يعنى تقدير الأحجام بمجرد النظر وتقدير المسافات بالظن والتخمين .

ومما سبق يتبين لنا لنا أن مسألة الذكاء عند المرأة لا تختلف كثيراً عن الرجل ، بينما ذكاء المرأة له طابع خاص وميول معينة واهتمامات خاصة ، وذلك لأن رسالتها تختلف عن رسالة الرجل ، وهذا كان هو سبب اختلاف الميول والاهتمامات ، وربما أن فى هذا تفسيراً لأن أكثر العباقرة من الرجال وذلك لطبيعة عمل الرجل وتفرغه لمشاغل الحياة ، بخلاف المرأة الأكثر تقيداً بالمنزل وتربية الأبناء ورعايتهم ، مع ملاحظة أن هذا الذى ذكرناه عن المرأة والرجل خاص بجنس المرأة وجنس الرجل ، لكنه لا يعنى أن جميع الرجال يشتركون فيما ذكرناه من الصفات التى ذكرناها عن جنس الرجل من ناحية التفكير وكذلك ليس جميع النساء يشتركن فى الصفات المذكورة عن جنس المرأة – من ناحية التفكير – يعنى قد تكون المرأة أكثر تثبتاً فى الأمور من زوجها وأكثر قدرة على التفكير المجرد منه ، وقد يكون رجلاً معينًا يفوق زوجته فى المهارات الأدبية واللغوية وسرعة حكم الحواس ..

---

(١) المصدر السابق .

نعود لحديث رسول الله ﷺ والذى يفسر قوله عن النساء أنهن ناقصات عقل ودين ، فبينا أن نقصان عقل المرأة - بشهادة علم النفس - لا يعنى نقصًا فى الذكاء العام بقدر ما يعنى أن ذكاء المرأة له طابع مميز غير الرجل وعناصر الذكاء لديها ممزوجة بطريقة تختلف عنها فى الرجل ، وفيها أن قدرتها على التثبت من الأمور وتركيز الانتباه أقل من الرجل وهذا هو عين ما فسره الحديث بقوله : « أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ؟! .. فذلك نقصان عقلها » .

أما نقصان دينها فليس معناه أنها أقل تدينًا من الرجل ، بل أنها أقل منه أداءً لبعض العبادات وذلك نتيجة ظروفها الخاصة ، فقد حُرِّم عليها الصوم والصلاة وتلاوة القرآن أثناء الحيض والنفاس وهى فترات قد تطول وتتكرر ، ولكن هذا شىء كتبه الله على جميع النساء ، وهو خارج عن إرادتهن ، فهن غير مقصِّرات ولا متهاونات نتيجة لذلك فى أمور العبادات ، فالنقص إذًا ليس فى حقيقة الدين « ولو كان النقص فى حقيقة الدين ونور اليقين لكان المريض والمسافر من الرجال يتركان الصيام ناقصين فى الدين ، وكان الفقير يعجز عن الزكاة ، المريض يعجز عن الجهاد كل منهما ناقص فى الدين ولم يقل بذلك أحد من المسلمين » [1] .



(١) « المرأة فى الإسلام » ، الشيخ كمال أحمد عوف - من علماء الأزهر الشريف .

كيف ترى المرأة نفسها ؟!

إن المرأة ترى نفسها من خلال علاقتها بالآخرين ، هذا ما يؤكده علم النفس وعلم الاجتماع ، فهى أكثر اهتمامًا بالناس من الرجل ، وتميل لأن تتصل بهم أكثر وتتفاعل معهم أكثر ، وهى تشتكى دائمًا من الوحدة ، « وقد أجرى باحثان بريطانيان [١] دراسة على الأطفال تبين منها أن البنات فى مرحلة ما قبل الدراسة يقضون ما معدله ٩٢,٥ ثانية فى وداع أمهاتهم على باب المدرسة ، أما الأولاد فحوالى ٣٢ ثانية ، وأن القادم الجديد إلى المدرسة - من أى الجنسين - يحظى بفضول وصداقة البنات ولا مبالاة الأولاد » .

فالمرأة منذ الصغر تحب الغير ، وتسعى نحوه ، على العكس من الرجل فالرجل سلوكه يتمركز نحو ذاته وإرضاء شعوره ، والإحساس بنفسه ، فهو أقل اهتمامًا بالآخرين ، ولا يرى نفسه من خلالهم لكنه على ثقة بنفسه كبيرة ، وهو يحب أن يخلو بنفسه أحياناً وتضايقه علاقته بالآخرين حين تكون مفتوحة أكثر من اللازم ، وقد أودعت الفطرة فى المرأة هذا الشعور بالحب والألفة والاهتمام وأحياناً التضحية من أجل الآخرين حتى تقوم برسالتها على أكمل وجه تجاه الزوج والأبناء والأحفاد والأقارب وغيرهم ، وينبغى على الزوج أن يدرك هذا الأمر ، فلا يتضايق من قرب زوجته الشديد منه ، أو قلقها الزائد على تأخره عنها ، أو شعورها بالوحدة وشكايتها من ذلك دائمًا .

وعلى المرأة أيضًا أن تدرك طبيعة الرجل من هذه الناحية ، وحبه أحيانًا للعزلة ، فتدع له الفرصة كى يخلو بنفسه ، لا تطلب منه المزيد من القرب فى ذلك الحين ، ولتكن لديها حاسة تعرف بها متى يحتاج الزوج إلى الوحدة .

---

(١) عن كتاب « كيف تفهم الجنس الآخر » لايفات كريستان - ترجمة محمد خالد « بتصرف » .

واهتمام المرأة بالآخرين وانتعاشها برضا الغير ، وإطرائه لها يفسّر لنا كثيرًا من المشكلات التى تحدث بين الجنسين ، فمجرد النظرة الغير طيبة إيذاء شديد للمرأة ، لأنها تعتبر هذه النظرة إهانة كبيرة لشخصيتها ، فتشعر من خلالها بأنها غير مرغوب فيها ، وهذا شعور قاس للمرأة ، بخلاف الرجل الذى لا يعوّل كثيرًا على آراء الغير ، هذا يبدأ منذ الصغر ، فالطفلة عادة مؤدبة أقل عنفًا من الولد « إن البنت حتى وهى صغيرة تبدأ بالتصرف بطريقة مختلفة عن الولد ، فبينما هو مستقل وعدوانى .. هى جذابة وخجولة ، إن كل أسلوبها والتصرف مع الآخرين يكون لجذب الانتباه أو الرعاية أو الحب » (1) .

نستطيع أن نقول : إن المرأة تعتمد أكثر على حب الغير ، وتسعد لسماع كلمات الحب والإطراء من الغير ، فلا تبخل أيها الزوج على زوجتك بمثل تلك الكلمات ، واعلم أنها تحتاج إليها كما يحتاج النبات إلى الماء ، والمرأة بخلاف الرجل تحتاج دائماً إلى الاستماع إليها والإفصاح عن عواطفها ، أما الرجل فقلما يفصح عن عواطفه وإحساساته ومشاعره ، وأحيانًا المرأة حين تفصح عن عواطفها تكون بحاجة لمن يسمعها ويُقدرها أكثر من حاجتها إلى حلول لما تعانى من مشكلات عاطفية .

مخاوف النساء ومخاوف الرجال :

المرأة تخاف الوحدة ، وتخاف الاستقلالية ، وتخاف المغامرة بالتالى ، فهى عادة مهتمة بالآخرين وقربهم منها ولذلك فهى اعتمادية على الغير بدرجة كبيرة ، كما أن المرأة تخاف على أولادها بدرجة كبيرة تصل إلى مرتبة القلق المَرَضى أحياناً ، والمرأة تخاف من الحاجة والعوز المادى ، هذا الأمر أكثر ما يخيف المرأة لأن المرأة فى مجتمعنا (وإن كان البعض من

---

(1) عن كتاب « أسلوب كل النساء » م . استرهاردنغ – انظر : المصدر السابق .

النساء يعملن) إلا أنهن لسن على ثقة كبيرة من الاستقرار المالى ، ولديهن شكوك كبيرة تجاه هذا الموضوع ، كما أن لدى المرأة مخاوف من أشياء أخرى بسيطة كأنواع الحشرات والزواحف ونحوها ، ولدى المرأة قلق أكثر من الرجل ، فهى قلقة حول بيتها وزوجها وأحيانًا ترتاح المرأة للقلق فتتخذه وسيلة من وسائل شغل الوقت حين تكون منفردة ، لكن خوف الرجال يختلف ، فالرجل يخاف من الخسارة المالية ، أو اهتزاز مركزه المالى ، وكذا مركزه الاجتماعى ، لأنه بطبعه ذاتى الاهتمام ، ومن ثم فهو يحتاج للاحترام والتقدير أكثر من المرأة ، فهو دائم الكلام عن نفسه وإنجازاته لينال بذلك إعجاب الآخرين فيزهو ويشعر بالسعادة ، كما يخاف الرجل من فقد قوته وسلطانه وسيطرته ، فهو يعتبر أن الرجولة هى القوة والغلبة والسطوة ، وفقدان أحد هذه العناصر هو فقدان لرجولته ، والرجل لا يهتم كثيرًا بالهندام والمظهر الخارجى كما تهتم النساء ، فهو لا يخاف أن يبدو منظره على غير ما يرام خوفًا كبيرًا ، بل بعض المجتمعات القبلية تعتبر أن أمور الزينة أمور نسوية بحتة وأن الرجال لا يجب عليهم هذا الأمر .

لماذا يمل الرجل أحيانًا حديث المرأة ؟!

هل أحاديث النساء لها طابع خاص بخلاف أحاديث الرجال ؟ وهل يستمتع كلا الطرفين بحديث الآخر ؟ ولماذا ينفر الرجل من زوجته حين تحدثه عن خبر معين ؟!

يجمع الباحثون والعلماء على أن للنساء أحاديث واهتمامات غير أحاديث واهتمامات الرجل ويقولون : إن النساء عادة تميل للحديث عن الأشخاص بينما يميل الرجل للحديث عن الأشياء والأفكار والحقائق ، وحين يجتمع النساء فأنت ترى أحاديثهن تنصب على الناس وأخلاقهم ومعاملاتهم وصفاتهم ومشكلاتهم وما بهم من عيوب ومميزات ... إلخ ، لذلك كان التحذير القرآنى للنساء من الغيبة والسخرية من الناس ومن

بعضهن البعض ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1].

وحين يتحدث النساء عن أشياء فهن يتحدثن عن الطعام والشراب واللباس ، وأمور الزينة والموضة ونحو ذلك .

أما الرجال فيتحدثون عادة عن السياسة ، والمال ، والاقتصاد ، والرياضة ، والفلسفة ، والتربية ، والأحوال الاجتماعية ، والجنس ، والقوة ، وهذا ما يجعل الرجال أحيانًا يملون أحاديث النساء لاختلاف الاهتمامات فيمكن أن تجلس المرأة لتحكى لزوجها أحوال امرأة أخرى زميلتها أو ظروفها وما يحدث لها من مشاكل ، بينما الرجل لا يهمه معرفة كل هذه الأمور فهو يعتبر هذا نوع من تضييع الوقت ، فى حين أن المرأة تكون سعيدة عندما تحكى هذه المواضيع .

لذلك ينبغى على الرجل أن يُقَدِّر حاجة المرأة للحديث عن الأشخاص فيتيح لها الفرصة لذلك ، وهذا مثال بسيط من حياة محمد رسول الله ﷺ وهو ينصت لحكايات أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – رغم أن هذه الحكاية قد تبدو مملة إن حكتها زوجة أخرى لزوج مشغول لديه مهام تنوء بحملها الجبال ، لكنه ﷺ ينصت إليها ويستمع لحديثها ثم يعلق عليه تعليقًا خفيفًا ، روى البخارى [2] عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : جلس إحدى عشر امرأة ، فتعاهدن وتعاقدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئًا :

قالت الأولى : زوجى لحم جمل غث ، على رأس جبل : لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية (١١) .

(٢) الحديث رواه البخارى (١٧٧٣) ، ومسلم (٢٤٤٨) .

قالت الثانية : زوجى لا أبث خبره ، إنى أخاف ألا أذره ، إن أذكره أذكر عجره وبجره .

قالت الثالثة : زوجى العشنق ، إن أنطِق أُطلق ، وإن أسكت أُعلَّق .

قالت الرابعة : زوجى كليل تهامة ، لا حرٌّ ولا قرٌّ ، ولا مخافة ، ولا سآمة .

قالت الخامسة : زوجى دخل فَهِد وإن خرجَ أَسِد ، ولا يَسألُ عما عَهِد .

قالت السادسة : زوجى إن أكل لفَّ ، وإن شرب اشتفَّ ، وإن اضطجع التفَّ ، ولا يولج الكف ليعلم البَثَّ .

قالت السابعة : زوجى غياياء أو عياياء ، طبقاءُ ، كلُّ داءٍ له داءٌ ، شجَّل أو فلَّلك ، أو جمع كلَّالك .

قالت الثامنة : زوجى المسُّ مسُّ أرنب ، والريحُ ريحُ زرنب .

قالت التاسعة : زوجى العِماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد .

قالت العاشرة : زوجى مالك وما مالك خير من ذلك ، له إبل كثيرات المبارك ، قليلات المسامع ، وإذا سمعت صوت المزهر ، أيقنَّ أنهنَّ هوالك .

قالت الحادية عشرة : زوجى أبو ذرع ، فما أبو زرع ، أناس من حُلِىٍّ أذنىّ ، وملأ من شحم عَضُدى ، وبجَّحنى فبجحت إلى نفس ، وجدنى فى أهل غنيمة بشق ، فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ، ودائس ومنقٍّ ، فعنده أقول : فلا أقبَّح ، وأرقد فأتصبَّح ، وأشرب فأتقنَّح ، أم أبى زرع ، فما أم أبى زرع ؟ عكومها رواح ، وبيتها فساح ، ابن أبى زرع ، فما ابن أبى زرع ؟ مضجعه كمسلِّ شطبه ، ويُشبِعه ذراع الجَفرة ، بنت أبى ذرع ، فما بنت أبى زرع ، طوع أبيها وطوع أمها ، وملء كسائها ، وغيط جارتها ، جارية أبى زرع ، فما جارية أبى زرع ؟ لا تبث حديثها تبثيثًا ، ولا تنفث ميرتنا تنفيثًا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشًا ، قالت : خرج أبو زرع ، والأوطاب تمخض ، فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين ، يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقنى ونكحها ، فنكحت بعده رجلًا سريًا ، ركب شريًا ،

وأخذ خطيا ، وأراح عليَّ نعمًا ثريا ، وأعطانى من كل رائحة زوجًا ، وقال : كُلى أم زرع ، وميرى أهلك ، قالت : فلو جمعت كل شىء أعطانيه ، ما بلغ أصغر آنية أبى زرع .

قالت، عائشة - رضى الله عنها - : قال رسول الله ﷺ : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » .

هذا وإن أكثر أحاديث النساء عن أزواجهن ، وعلى العكس من ذلك قلما يتحدث الرجال فيما بينهم البعض عن زوجاتهم ، وإذا أرادت المرأة ألَّا يصبح حديثها مملًّا بالنسبة للزوج فلتحاول أن تقلل حديثها معه عن الأشخاص خصوصًا أولئك الذين لا يعنيه أمرهم ، ولتتحدث معه عن الأشياء بعضًا من الوقت ، فسوف يستمتع عندئذ بالحديث معها ولن يملَّ بسرعة . كذلك على الرجل أن يتحدث مع المرأة عن الأشخاص بعضًا من الوقت حتى لا تمل الحديث معه أيضًا هى الأخرى ، وليلاحظ الرجل أن حديث النساء غالبًا ما يشتمل على بعض الأسئلة ليس لشىء إلَّا لأجل استمرار الحديث فقط .

يقول عالم اللغة « روبين لاكوف » : « غالبًا ما تسأل المرأة من أجل استمرار الحديث بينما يعتبر الرجال الأسئلة كسعى للمعلومات » . ونتيجة لحب النساء للحديث مع الآخرين ومحاولة اجتذابهم ، فإن النساء كثيرًا ما يستعملن جهاز التليفون ، فهن أكثر اتصالًا من الرجال ، وأكثر استخدامًا لهذا الجهاز من الرجال ، فإنهم يتكلمن فيه لفترات طويلة .

وحديث النساء أكثر ترددًا ومراعاة للآخرين وأقل ثقة لكلام الرجال ، وهذا ما استنتجته أستاذ الفلسفة دكتورة : « ليندا كارلى » فى دراسة قامت بها على عينة من الرجال والنساء عددهم (٢٣٨) ، كما وجدت أن النساء تبدو أقل منافسة ومعرفة مما هى عليه حقًّا ، ويعلق عليه صاحب كتاب « كيف تفهم الجنس الآخر ؟ » فيقول : « فالكلام المتردد - غير الواثق - أقل تهديدًا للرجال » ، وهو يقصد أن الرجال يسعدون بهذا ، ويريدون أن تكون المرأة هكذا حتى تصبح فى مستوى أقل أو مستوى

أدنى ، وهذا ما يحبه الرجل ، ولا يحب أن تكون المرأة مثله ، ويريد أن يشعر بتواضعها أمامه .

أحيانًا يكون الرجل عنيدًا جدًّا :

الفكرة الشائعة أن النساء عنيدات ، وهن كذلك فى بعض الأحيان ، ولكن الرجل فى أحيان أيضًا يكون أشد عنادًا من المرأة ، وذلك حين يشعر أن الشيء الذى ينبغى أن يفعله ينتقص شيئًا ما من رجولته أو إحساسه بهذه الرجولة ، مع أن الأمر قد لا يكون كذلك بالمرة ، ومثال ذلك ، حين يصر البعض من الرجال على عدم طلب المساعدة من الغير فى الأوقات التى يحتاجون فيها المساعدة فعلًا ، اعتقادًا منهم أن هذا أمر محرج ولا يليق بالرجولة .

تقول « إيفات كريستان » فى « كيف تفهم الجنس الآخر ؟ » : « الرجل معروف كحلَّال للمعضلات ، وصاحب قرار ، ويمسك بزمام الأمور ، وطلب المساعدة يضع الشخص صاحب المعلومات فى مركز أعلى ، ويشعر متلقى المساعدة بالدونية ، وبالعكس فالمرأة تعتبر المساعدة كسبًا ، إضافة إلى أن طلب المساعدة للمرأة هو فرصة لإقامة ودًّا مع الآخرين ، فى « علم نفس الاختلافات الجنسية » تلمح « ايلنيو ماكوبى ، وكارل جاكلين » : « أن المرأة أكثر ميلًا لطلب المساعدة أو اللجوء للآخرين لمواجهة خطر وتهديد ، بينما ينخرط الرجل فى السعى الحثيث لحل المشكلة » .

وبإدراك المرأة لهذه النقطة عند الرجل ، فإنه ينبغى عليها أن تحترم استقلاليته فى التفكير والتنفيذ ومحاولة حل مشاكله بنفسه ، وتناقشه بهدوء حين ترى أنه لا بد له من طلب المساعدة من الغير حتى لا يصر ويعاند رافضًا المساعدة ، صديق عزيز ذهب لمكان ما للمرة الأولى على وصف من آخر ، لكنه أخذ يحوم حول المكان أكثر من ساعة من الزمن لتحرّجه من أن يسأل الناس ، وقد كان من الممكن أن يوفر هذا الوقت لو سأل أحدًا عن العنوان .

هل الرجال متكبّرون ؟!

يعتقد كثير من النساء أن جنس الرجال جنس متكبر ومتعالى على المرأة ، ولا يريد سماع الحق أو يذعن له إن جاء من قبل النساء خاصة ، فهل هذا كلام صحيح على إطلاقه ، ولماذا يرفض الرجال الإذعان للحق أحيانًا ؟! الحقيقة أن الرجل يهتم كثيرًا بأن يكون على حق ، وأن يكون قراره صائبًا .

يقول « جون عزى » فى (علاقات الرجال والنساء) : « يجب على الرجال دائمًا أن يكونوا على حق » يعنى هم يهتمون دائمًا بهذا الأمر .

ولا شك أن المرأة أيضًا تحب أن يكون رأيها صائبًا ، ولكن بدرجة أقل من حب الرجال لهذا الأمر ، قد تقول لامرأة : إنك مخطئة أو هذا الكلام الذى تقولينه غير صحيح ، ولا تنفعل المرأة أو تحزن كثيرًا ، لكن عندما تقول للرجل : أنت مخطئ أو هذا الكلام خطأ وغير صحيح بالمرة ، فأنت حينئذ تضربه فى العمق كما يصرح بذلك صحاب كتاب « كيف تفهم الجنس الآخر ؟ » فيقول : « أن تقول لرجل : إن قراره أو عمله خطأ ، فأنت تضربه فى العمق ، وذلك يعنى أنه فقد احترامه كسلطة ، وبما أنه ذاتى الاهتمام فسلطته هى ما يعتمد عليه للإبحار فى العالم » .

وهذا يجعل الرجل أحيانًا يجيب عن شيء برغم عدم معرفته به معرفة كاملة أو يتهرب من الإجابة عليه بأسلوب معين ، وذلك خوفًا من قوله : « لا أعلم » ، لأنه يعتبر عدم العلم نوع من النقص لا ينبغى أن يتصف به الرجال ، بالرغم من أنه لا يمكن لأحد أن يلم بجميع العلوم والمعارف ، لكن الرجال يكون لديهم نوع من الاستحياء تجاه قول : « لا أعلم » ، لكن هذا الأمر بالنسبة للنساء لا يسبب لهن كثير من الانزعاج . فعلى الرجل أن يعلم أن كل إنسان يصيب ويخطأ ، وليعترف بالخطأ ولا يعتبر هذا شيئًا من النقص ، وحين لا يعلم شيء ما فليقل : « لا أعلم » ، فهو خير من التضليل

أو الإجابات الناقصة ، وعلى المرأة حين تتعامل مع الرجل تتجنب أن تقول له : « أنت مخطئ » ، ولتقدم له التصيحيح بدون أن تجرح شعوره حتى لا تخسره ، وعلى الرجل أيضًا أن يتجنب توجيه الخطأ إلى الزوجة أو الإهانة ، فالمرأة وإن كانت أقل حساسية تجاه الاعتراف بالخطأ من الرجل ، فإن أى شخص أيًّا كان لا يحب أن يظهر بمظهر المخطئ ، وبالطبع أن توجيه الإهانات غير مقبولة على الإطلاق من قبل الرجل أو المرأة على حد سواء .

وأمر آخر يجب الحديث عنه هنا بمناسبة الاعتراف بالخطأ ومدى قدرة كل من الرجل والمرأة على هذا الأمر ، ألا وهو الاعتذار ، الرجل يعتبر الاعتذار ضعف لأنه يجعله فى مرتبة أدنى ، من مرتبة المعتذر إليه ؛ لذا يكون عنيدًا ولا يعتذر بسهولة ، بخلاف المرأة والتى لا تجد بأسًا من الاعتذار عند الخطأ ، وأحيانًا تعتذر ، وهى غير مخطئة تمامًا لتمرير الأمر وعدم إثارة مشاكل ، وهذه سمة جميلة فى المرأة ، بل إن المرأة بهذه الصفات من الطيبة والسماحة تستحق دخول الجنة ، يقول رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بنساءكم فى الجنة ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : ودود ولود إذا غضبت ، لو أسيء إليها أو غضب زوجها قالت : هذه يدى فى يدك لا أكتحل بغمض (يعنى لا ترى عينى النوم) حتى ترضى »[1].

غيرة الرجل وغيرة المرأة « الدوافع والنتائج » :

يعتقد البعض أن النساء أشد غيرة من الرجال ، هذا صحيح ، ولكن غيرة الرجال أشد خطورة من غيرة النساء ؛ وذلك لاختلاف الدوافع للغيرة عند الرجل والمرأة ، فغيرة الرجل تنشأ من إحساسه بتهديد رجوليته وامتهان كرامته ، لأن المرأة (الزوجة) تخصه هو ، بينما غيرة المرأة تنشأ من خوف المرأة من وجود من يشاركها فى الزوج ، فيمكن أن نسميه الخوف من

---

(١) رواه الطبرانى .

فقدان الشعور بالأمان مع الزوج ، فالمرأة تغار بطريقة عاطفية ، فهى تخشى من خسارة عاطفة الرجل نحوها ، لكن الرجل غيرته إلى حد كبير غيرة جنسية ، بمعنى أنه يخاف أن تخونه زوجته مع شخص آخر ، وغيرة المرأة على زوجها عادة ما تؤدى إلى النكد الزوجى ، ومضايقة الرجل (الزوج) ، بينما غيرة الرجل عنيفة جدًّا قد تنتهى بقتل الزوجة ، لذلك كان التحذير الشديد من غيرة الرجل وتشككه بغير سبب مقنع ، لأن عاقبة ذلك وخيمة على الأسرة وتؤدى إلى زعزعة الثقة ، وإلى حياة غير مستقرة ، وفى الحديث الشريف : « لا يطرق الرجل أهله ليلًا ، يتخونهم ويطلب عثراتهم »[1] ، فالثقة فى الزوجة تولد الثقة ، والشك يولد الشك أيضًا ، ولا ينبغى أن يشك الزوجين فى بعضهما البعض ، بل يتبادلان الثقة ، ولا يختلفا الشكوك والأوهام .

يقول « دايل كارنيجى » فى « كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس » : « ولنضرب لك مثلًا على واحد من الأسباب التى تسرع بالسعادة الزوجية إلى المقبرة .. نابليون الثالث ، إمبراطور فرنسا العظيم ، والرجل الذى توفرت له فرص السعادة من مال وشباب وجمال ، وقع فى غرام (مارى أوجينى) ، وهى ابنة (كونت أسبانى) غير عريق النسب ، لكن الإمبراطور ضحى بكل شىء فى سبيل الاقتران بها ، وتزوجا ، فوهبها الشهرة والجمال والحب ، كما أخلصت له الإمبراطورة إلى درجة العبادة ، لكن نار حبها سريعًا ما خمدت وانطفأ وقدها ، لقد تحولت إلى رماد بارد ، فما هو السبب ؟!

لقد أجلس نابليون زوجته على عرشين : عرش فرنسا ، وعرش قلبه ، وكان يحق لها ذلك ، غير أن سلطان الغيرة وروح الشك ، ملكا عليها نفسها ، لقد باتت لا تثق بنابليون ، فصار يسعى بنفسه إلى الانفراد ، فكثيرًا ما كانت تندفع إلى مكتبه وهو منهمك فى تصريف شئون البلاد

---

(١) رواه مسلم .

فتلهيه عن عمله ، كانت تخشى أن يكون زوجها قد اتخذ له صاحبة غيرها ، وهذا ما يخلق النكد » .

فلا تكونى أيتها الزوجة غيورة لتلك الدرجة التى تخلق النكد ، ولا تزرعى بنفسك بذور الشك ، ولا تجعلى أنت من نفسك سببًا لغيرة الزوج عليك ، وذلك بأن تحترمى وجهة نظره ، ورأيه فى طبيعة علاقتك بالجنس الآخر ، فأنت زوجته وله حق الطاعة عليك وهو يحبك ، ويخشى أن يستهوى عقلك أى شخص آخر ، وعلى الزوج أيضًا ألا يكون كثير الشك والظنون ، وليجعل زوجته موضع ثقته ، وفى الحديث : « إن من الغيرة ما يبغض الله ، ألا وهى الغيرة فى غير ريبة »[1] .

هذه الغيرة من غير سبب ، غيرة هادمة للبيت ، منبوذة من الخالق جل وعلا ، ومن الخلق .

المرأة والرجل والرغبة الجنسية :

● أيهما أشد رغبة ؟!

يقول البعض : إن حاجة المرأة إلى الجنس أشد من حاجة الرجل ، لكن الذى عليه أكثر الباحثين أن حاجة الرجل أشد ، فهو يرغب أكثر من المرأة فى ممارسة الجنس ، وفى استطلاع عام ١٩٨٨ فى الولايات المتحدة أجمع (٢٨٩) معالج جنسى أن الشكوى (رقم ١) بين الأزواج هى تضارب الرغبة الجنسية ، فالرجال أكثر رغبة من النساء ، ذكره فى « كيف تفهم الجنس الآخر ؟ » .

وربما كان هذا وراء التحذير الشديد من رسول الله ﷺ للنساء حين قال : « والذى نفس بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه ، فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح »[2] .

---

(١) رواه أحمد وغيره . (٢) رواه البخارى ومسلم .

فالشهوة لدى الرجل قوية ، وجارفة ، ورفضها من قبل زوجته طعن كبير فى رجولته ، ثم هو نوع من دفعه نحو الحرام ، فإذا امتنعت المرأة من زوجها فماذا يفعل ؟ ، وكيف يفرغ طاقته ؟! إنها فوق أنها تجرح كبرياءه ورجولته ، فهى تدفعه نحو الحرام ، فلذلك استحقت اللعنة ، فرغبة الرجل الجنسية كبيرة ، وهى تعادل رغبة المرأة فى الحب والعطف والحنان ، وكلما استطاع الرجل أن يعطى المرأة من الحب والعطف كلما كان اللقاء الجنسى ناجحًا ، وكلما كانت الاستجابة جيدة من قبل المرأة للرجل ، فنستطيع أن نقول : إنه لا جنس بدون حب ، فالمرأة ليست جمادًا لا شعور له ، إنها تحتاج إلى القرب والحب ، وهذا ما يقربها أكثر من الرجل ، وقد تمارس المرأة مع زوجها ولكن من قبيل أداء الواجب ، وهذا مطلوب من المرأة فى بعض الأحيان تلبية لرغبة الرجل عند عدم توفر الرغبة لديها ، لكن لا يكون هذا هو المعتاد ، وإلا فقدت الحياة الزوجية حيويتها .

● الجنس ليس كل شىء :

ليس الجنس فى الحياة الزوجية هو كل شىء فيها ، فليس هو مدارها الذى تدور حوله ، وليس هو هدفها فحسب .

الجنس وسيلة وليس هدفًا أو غاية ، هو وسيلة من وسائل تحقيق السعادة الزوجية ، وهو وسيلة إنجاب الذرية ، وهو أحد عوامل التوافق بين الزوجين ، لكن إذا اعتبر الشخص أن الجنس هو كل شىء فى الحياة الزوجية ، وجعله مدار حياته فعندئذ ليتوقع المشكلات الزوجية والاضطرابات النفسية ، وذلك نظرًا لعدم التكيف الجنسى فى بعض الأحيان ، وعدم الإشباع الجنسى فى أحيان أخرى ، والضعف الجنسى حينًا آخر .

يقول محمد رفعت فى « قاموس المرأة الطبى » : « ولكن الجنس وحده لا يمكنه تحقيق كل الأهداف الزوجية المنشودة ، فلا يمكن تصور حياة زوجية كل مضمونها وشكلها العام جنس ، ويسيطر على أفكار كل من

الزوجين شىء واحد هو الجنس ، خاصة لو كان هذا المفهوم عند أحد الزوجين دون الآخر ، وهذا ما نجده دائمًا بين المرضى النفسيين حيث يتباعد الفهم المنطقى السليم ، وتتباعد مشاعر وعواطف الزوجين ، ويشعر كل منهما تجاه الآخر بالأنانية وعدم الحب وعدم التضحية ، وبذلك يكون الجنس سببًا فى الجفاء والفتور فى العلاقة الزوجية » .

إن حالات كثيرة من الضعف الجنسى سببها نفسى ، نتيجة توتر الأعصاب ، والانشغال الدائم والمستمر بالعمل ، ومثل هذا الفهم السالف الذكر ، فإن تفكير المرء فى هذا الأمر ، وخوفه من استمرار حالة ضعفه الجنسى - والتى قد تكون طارئة - نتيجة ظروف معينة ، هذا التفكير وذلك الاضطراب ، وإحساسه بأن حياته الزوجية مهددة بالفشل نتيجة هذا الأمر ، هذا كله لا يساعد فى مرور هذه الحالة بسرعة ، بل يزيدها تفاقمًا ، ولكن اعتبار هذا الشىء طارئ ، وعدم التوتر أو القلق بشأنه ، والاطمئنان ، وراحة الأعصاب كل ذلك عامل كبير فى مرور تلك الحالة بسلام ، وهى تحدث للبعض أحيانًا .

لا تكن زوجًا جاهلاً :

كتب « ديل كارنيجى » تحت هذا العنوان يقول : فقد بحث الدكتور « ج . هاملتون » حالة مائة من الأزواج ، ووجه إلى الرجال والنساء كل على انفراد نحو أربعمائة سؤال عن خصائص حياتهم الزوجية ، واقتضاه هذا البحث أربع سنوات كاملة ، حتى لقد اعتبر هذا البحث من الأعمال الاجتماعية الهامة ، وأمده بالمال عدد من الجمعيات الإنسانية ، فماذا كانت النتيجة ؟ يحسن بك أن تطالعها فى كتاب « ما خطأ الزواج » الذى ألفه الدكتور « هاملتون ، وكينيث ماكجوان » ، يقول الدكتور « هاملتون » : « إن عدم التوافق الجنسى يجثم دائمًا فى قرارة كل زواج فاشل ، فإن كل المشكلات الأخرى التى تلابس الزواج يمكن أن يغضى عنها الزوجان لو أن التوافق الجنسى استتب بينهما » .

أليس من المؤسف ونحن في القرن العشرين ، ولنا ما لنا من العلم والمعرفة أن يتحطم الزواج وتدبر السعادة ، ويقبل الشقاء بسبب الجهل الفاضح بصدد أهم الغرائز الطبيعية وأولاها بالاعتبار ؟!

نعم إن جهل الرجل باحتياجات المرأة الجنسية سبب هام فى كثير من حالات الطلاق ، وقد يختلق الزوجان مشكلات أخرى ، ولكن يبقى هذا الأمر سبب كامن داخل النفوس تخشى الإفصاح عنه .

فليقرأ الزوج عن فن مداعبة الزوجة ، ولا يكن أنانيًّا يريد أن ينال المتعة الجنسية بدون النظر إلى احتياجات زوجته العاطفية ، ومداعبتها ، ولا ينصرف عنها بمجرد قضاء شهوته ، فإنها عندئذ تكون فى قمة الإثارة ، وانصرافه عنها يسبب لها كثير من المتاعب ، أشعر زوجتك بأنها ليست مرغوبة من أجل العملية الجنسية فحسب ، وإنما لأنك تحبها ، وتحب البقاء معها ، والحديث إليها ومنها ، العملية الجنسية فن يُكتسب مع الخبرة وبمرور الوقت ، فلا تجزع فى بداية الزواج من عدم التوافق الجنسى ، فإنه يوم بعد يوم وعام بعد عام ستصل إلى قمة الوفاق إن شاء الله .

لماذا تكذب المرأة ؟

مهما يكن فإن كذب المرأة أقل خطورة من كذب الرجل ، فالمرأة حين تكذب فإنها تكذب من أجل إرضاء الآخرين ، فمن المعروف أن المرأة لا تحب الصراع أو التنافس بخلاف الرجل، وهى تحب أن تكسب الأصدقاء أكثر من أن تفوز عليهم أو تنافسهم ، كما أن المرأة تكذب أحيانًا خوفًا من الحسد ، والذى تضعه المرأة فى مرتبة عالية جدًّا ، فهى تكذب إذا تعلَّق الأمر بالأولاد ، فقلما ترى امرأة تصدق إذا تعلق الحديث بالأبناء وأكلهم وشربهم ومعاشهم ، وتكذب المرأة خوفًا من غضب الزوج واستثارته خصوصًا إذا كان الزوج من النوع العصبى ، والخلاصة أن معظم كذب المرأة ناتج من موقع ضعف .

أما الرجل فيكذب من موقع قوة ، فهو يكذب من أجل الإحساس بنفسه وبقيمته وبشخصيته ، ولذلك فهو يقع فى أخطاء جسيمة ، وكلما قويت الرغبة فى تقدير الذات بالنسبة للرجل ، كلما كان ذلك أدعى للوقوع فى الكذب ، فحب الظهور ، وحب السلطة ، من أهم دوافع الكذب لدى الرجال ؛ لذا ينبغى على الرجل أن يقاوم الكذب من أجل هذه الأمور ، وليعلم أن الصدق أنجى له وأفضل ، وفى الحديث الشريف : « إن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا »[١] .

وقد أباح الإسلام الكذب فى ثلاثة مواطن[٢] : الكذب من أجل الإصلاح بين الناس ، والكذب على العدو ، والكذب بين الزوجين من أجل استدامة حسن العشرة .

المرأة ، والصِّحة ، والجمال :

يعرف الجميع أن المرأة أكثر اهتمامًا من الرجل بالمظهر الخارجى ، ومن ثم فهى أكثر منه اهتمامًا بالصحة والجمال ، فالمرأة تسارع بالكشف الطبى حول ما يعتريها من أمراض ، أما الرجل فلا يسارع بمثل هذا الأمر ، إنه ينتظر ويريد أن يشفى بدون أن يُعرض على الطبيب ، إنه يريد أن يتغلب على المرض بدون مساعدة من أحد ، لذلك ترى الرجال يُهوِّنون من المرض ومن خطورته ، بعكس النساء ، فهن يبالغن بخطورة المرض حتى وإن لم يكن كذلك .

وهذا أمر لا يحتاج لكثير الملاحظة ، كما أنه أكثر تهورًا واستخفافًا بالمخاطر من المرأة ، ويتضح هذا أكثر عندما ترى رجلًا يقود سيارة ، وامرأة

---

(١) رواه البخارى .

(٢) جاء فى ذلك فى حديث رواه مسلم .

تقود سيارة ، فترى الرجل يسرع وربما يتخطى الذى أمامه ، بخلاف المرأة فهى عادة تقود السيارة بهدوء ، وبروية حتى أنها ربما تستفز الرجل الذى يقود السيارة التى خلفها ، ربما للأسباب السابقة .

تقول الإحصائيات : إن متوسط أعمار النساء أكثر من متوسط أعمار الرجال ، ونسبة إصابة النساء بالأمراض أقل من نسبة إصابة الرجال ، ويرجع ذلك أيضًا لزيادة نسبة هرمون الاستروجين لدى المرأة خصوصًا بعد وأثناء مرحلة المراهقة ، وهو يحمى النساء من الإصابة بأمراض القلب ، ولشدة اهتمام المرأة بالصحة ، فإن النساء أكثر اهتمامًا بالطعام كمًّا وكيفًا من الرجل ، بينما الرجال لا يولون الطعام الاهتمام الكافى ، لذلك يرتفع معدل الإصابة بالسمنة لدى النساء ، وربما يساعد المرأة فى ذلك قضاءها وقتًا طويلًا فى المطبخ مع الطعام .

والمرأة أيضًا أكثر اهتمامًا بالرشاقة ، والخوف من السمنة المفرطة ، ومع ذلك فإن لدى الرجل عزيمة أقوى للتخلص من السمنة ، وكثير من النساء يخفقن فى اتباع نظام غذائى منضبط للتخلص من السمنة .

هذه أعمال لا يفضلها الرجال :

الرجال عادة لا يفضلون الأعمال المنزلية ، مثل طهى الطعام ، وغسيل الأوانى ، والتنظيف ، وترتيب المنزل ونحوها ، بل إن معظم الرجال لا يفضلون الجلوس فى المنزل وقت تنظيفه ، فضلًا عن قيامهم بمثل هذه الأعمال ، كما أن الجلوس مع الأطفال ومداعبتهم والقيام ببعض الأعباء الخاصة بهم ، لا يصلح الرجال لمثل هذه الأعمال ، وقليل من أولئك الرجال الذين يرضون بأن يمكثوا فى المنزل لرعاية الأولاد ، بينما الزوجة تعمل خارج المنزل ، إن الرجل يعتبر جلوسه هكذا طعنًا فى رجولته ، فهو لم يعد لمثل هذه الأشياء ، فضلًا عن عدم قدرته على القيام بها كما تقوم بها المرأة بحب وعاطفة .

كما أن التسويق ، وشراء السلع تقوم بها المرأة أفضل من الرجل ، بل

إن التسويق يضايق الرجل كثيرًا ، فهو يثار بسرعة لأى جدل يحدث بينه وبين البائع ، بخلاف المرأة والتى لديها المقدرة على الأخذ والرد مع البائعين .

أيتها الزوجة المخلصة ؛ لتعلمى أن زوجك لكونه رجلًا فهو لا يحب الأعمال المنزلية والأشياء التى ذكرناها ، ربما هذا شيء جُبل عليه ، وربما لأن العامل الاجتماعى يلعب فى ذلك دور كبير ، المهم أن تتفهمى الأمر وأن تدركى طبيعته الحالية ، فلا تنزعجي من رفضه مثل هذه الأشياء بعض الأحيان ، وعلى الرجل (الزوج) أيضًا أن يحاول أن يتغلب على هذا الأمر ولو بعض الأحيان مساعدة لزوجته والتى قد تكون مريضة أو مشغولة في ذلك الوقت بأعمال أخرى للأبناء ، وليعلم أن مساعدته زوجته فى الأعمال المنزلية لا تحط من قدره أو تنتقص من رجولته شيئًا .

كما أن ظروف مجتمعاتنا اليوم تحتم على الرجل القيام ببعض الأعمال مساعدة للمرأة فى البيت ، خصوصًا المرأة العاملة ، فالقيام بأعمال المنزل وتربية الأبناء ليست بالشيء اليسير أو البسيط بحيث أن تجمع المرأة بينه وبين عمل آخر تجلس فيه نصف النهار تقريبًا ، فإن كان الزوج مضطرًا لأن يدع زوجته تعمل لمساعدته في الإنفاق على الأسرة ، فليس أقل من أن يقوم بمساعدتها فى بعض الأعباء المنزلية ، حرصًا على عدم إرهاقها بالعمل ، وابتغاء الأجر والثواب من الله تعالى ، يقول رسول الله ﷺ : « خياركم خياركم لنساءهم »(١) .

وقد كان رسول الله ﷺ فى خدمة أهله او فى مهنة أهله(٢) ، « وكان يخيط ثوبه ويخصف نعله »(٣) .

ولنا فيه ﷺ القدوة الحسنة ، فقد كان رحيمًا بنساءه ، رحيمًا بالأبناء ، يمازحهم ويلاعبهم ويلاطفهم ، وحين سئلت السيدة عائشة - رضى الله عنها - عما كان يصنع رسول الله ﷺ فى بيته ؟ قالت : « كان بشرًا من البشر يصلح ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه »(٤) .

---

(١) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .　　(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه أحمد فى « المسند » ، وهو فى « صحيح الجامع الصغير » للألبانى برقم (٤٩٣٧) .

(٤) رواه أحمد فى « المسند » - السلسلة الصحيحة (٦٧١) .

الحب بين الجنسين قبل الزواج

هل الحب قبل الزواج شرط لنجاح الزواج ؟!

وما هو الحب ؟!

لم تأخذ كلمة من الكلمات حقها من الانتشار وذيوع الصيت فى هذا العصر مثل كلمة الحب ، فقلما تقرأ جريدة أو مجلة أو كتابًا أو قصة ، أو تسمع مذياعًا أو تلفازًا أو غيره ولا تجد هذه الكلمة تتردد ، ومع هذا كله فإن هذه الكلمة من أكثر الكلمات التى وقع عليها الظلم ، ووضعت فى غير موضعها ، والفكرة المعتادة والمنتشرة بين الجنسين عن موضوع الحب هو أن تعجب فتاة فتى ، فيتودد إليها ، ويتقرب إليها ، ويتقابلان ويتبادلان الكلمات والضحكات وغيرها ، ويُفتن كل منهما بالآخر ، ويتعلق به تعلقًا شديدًا ، ويقول : هذا هو حبيبى الذى كنت أبحث عنه ، وهذا هو الشخص المناسب لى ، ولا يتصور الحياة بدونه ، ويسعى فى سبيل الارتباط به مهما كانت الظروف والأحوال ، ظنًّا منه إنه بارتباطه بهذا الحبيب سوف تصبح حياته سعيدة مريحة هانئة هادئة مطمئنة .

وقبل أن نبين حقيقة هذه المشاعر السابقة ، ومدى صحتها من خطئها نود أن نؤكد على حقيقة هامة ، تكلم عنها وأكدها كثير من علماء النفس والباحثين ، وأكدتها الدراسات والبحوث الخاصة بموضوع الأسرة والزواج ، وكان أحد مظاهرها هو قول المرأة (الزوجة) التى تزوجت عن حُب : « ليس هذا هو الشخص الذى أحببته يومًا ما ، إننى لا أطيق العيش معه » .

فالحب ليس شرطًا أساسيًا للسعادة الزوجية ، لأن الحب قبل الزواج عادة ما يكون مبنيًا على الأمانى والأحلام بعيدًا عن الواقع ، يفتقر للعشرة ومعرفة السلبيات والنقائص التى يتصف بها الطرف الآخر ، حتى إذا فوجئ بها بعد الزواج انقلبت الحياة رأسًا على عقب .

يقول الدكتور محمود حسين : « تنتشر كثير من الأفكار الوهمية والقصص الروماتيكية حول الحب والزواج إلا أن الحب لا تعتبر أساسًا منطقيًا يقوم عليه الزواج ... والاندفاع نحو الزواج بغير زاد سوى الحب يؤدى إلى مخاطر اجتماعية وشخصية كما يظهر فى حالات كثيرة من الفشل والطلاق »[1].

ويقول العلامة محمد رشيد رضا : « إننى منذ ثلث قرن ونيف أدرس مسألة النساء والحياة الزوجية وأناقش فيها أهل العلم والرأى ، وأقرأ ما صنف فيها من الكتب ، وأتتبع ما تنشره الصحف ، وأتدبر أخبار الإفرنج فيها ... وإننى أعتقد بعد هذا الدرس الطويل العريض العميق ، وما اقترن به من الاختبار الدقيق أن ما يراه الكثيرون من أهل الغرب والشرق من نوط السعادة الزوجية بتعارف الزوجين قبل الزواج وعشق كل منهما الآخر هو رأى أفين (ناقص) ، أثبت الاختبار بطلانه ، وإن تحاب الشبيبة لا ثبات له بعد الزواج غالبًا »[2].

فالحب الحقيقى الذى ينشأ بين الزوجين حين يسعى كل منهما لتقبل الآخر ، والرضا به ، والعشرة الطيبة معه ، ومحاولة إسعاد صاحبه والبحث عما يحبه ، والتنازل عن بعض ما يحب إرضاءً لشريكه فى الحياة ، إنه المشاركة الحقيقية فى الحياة ، بينما الحب بين الشباب والفتيات عادة ما يكون حبًا خياليًا ، يقوم على الأحلام أكثر من الوقائع والأحداث ، ولا ينظر إلى الحياة الزوجية على أنها عشرة طويلة وحياة حافلة ، ومسئولية عظيمة ، تحتاج لتفاهم كبير ، وصبر عظيم ، فتحتاج فيها إلى الشخص المناسب لك فى الميول والرغبات والعادات والاتجاهات ، وتحتاج إلى الزوج القادر على تحمل المسئولية واتخاذ القرار المناسب ، وإلى الزوجة الصابرة الهادئة المطيعة المؤمنة ، التى تُقدِّر المسئولية ، وليست المسألة استحسان

---

(١) « الأسرة ومشكلاتها » ، الدكتور / محمود حسين (ص ١٢٠ ، ١٢١) باختصار .

(٢) « نداء للجنس اللطيف » ، العلامة / محمد رشيد رضا (ص ١٣٨ ، ١٣٩) باختصار .

شاب لفتاة ممشوقة القوام ، أو جميلة المحيا ، أو استحسان فتاة لشاب مفتول العضلات ، منسق الهندام ، فالمسألة أكبر من ذلك بكثير ، وهذا يدفعنا للإجابة على سؤال نراه يلوح أمامنا ألا وهو :

كيف تختار شريك حياتك ؟

إن مسألة اختيار شريك الحياة مسألة هامة ، ويجب التريث فيها وعدم التسرع ، لأنه يتوقف عليها سعادة الإنسان فى حياته أو شقوتها ، فكم من زوجة سببت السعادة لزوجها ، وكم من زوجة أخرى كانت سببًا فى شقاء زوجها ، والنساء لهن دروب وأحوال ، فإن أحسنت الاختيار استرحت وأرحت ، وإن أسأت الاختيار فلا تلومن إلا نفسك ، ومهما حاولنا أن نجمع الصفات المطلوبة فى شريكة الحياة المناسبة فلن نجد أصدق ولا أبلغ ولا أبين من قول رسول الله ﷺ : « خير متاع الدنيا المرأة الصالحة » [1] .

والمرأة الصالحة هى التى قال عنها أيضًا رسول الله ﷺ : « خير النساء التى إن نظرت إليها سرتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك » [2] .

نعم هذه هى المرأة الصالحة ، إنها امرأة تعرف حق الله عَزَّ وَجَلَّ ، وحق الزوج ، فهى تطيع الزوج إذا أمر ، فليست ممن تعاند الزوج لمجرد العناد ، فهى الزوجة الهينة اللينة البشوشة ، الزوجة التى نالت قسطًا من التربية يؤهلها لأن تحفظ الزوج فى غيبته ، فلا تدخل أحدًا بيته وهو غائب ، ولا تخرج من بيته بغير إذنه ، ولا تفشى له سرًّا ، ولا تنشر ما يحدث بينها وبينه للناس ، فهى حديث رسول الله ﷺ : « إن أشر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته ، وتفضى إليه ، ثم ينشر أحدهما سرَّ صاحبه » [3] .

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه أحمد وغيره ، وصححه الألبانى فى « صحيح الجامع الصغير » (٣٣٩٣) .
(٣) رواه مسلم .

هذه الزوجة الصالحة هى خير من ذات المال الغنية التى ليست على خلق قويم وتربية فاضلة ، وهى خير من المرأة الحسناء فى المنبت السوء ، وهى خير من ذات الحسب والنسب التى لا تعرف حق الله ، فتصاحب هذا ، وتبتسم لذاك ، وتضاحك الآخر ، نعم كلنا يطلب الجميلة صاحبة المال والنسب والحسب ولكن إذا كان هذا كله فى كفة وصاحبة الدين فى كفة ، فأى كفة ترجح ؟!

يقول رسول الله ﷺ : « تنكح المرأة لأربع : لجمالها ، ولحسبها ، ولمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين ، تربت يداك » [1] ، يعنى إن لم تظفر بذات الدين فقد التصقت يداك بالتراب وهو كناية عن الخسران المبين ، ويا حبذا لو اجتمع الدين مع الجمال والحسب والمال ، فعندئذ تكون قد اجتمعت كل الصفات التى يحبها الرجل من المرأة ، ويكون هذا من فضل الله عَزَّ وَجَلَّ عليه .

ولكن كيف نتعرف على المرأء الصالحة المذكورة فى الحديث الشريف ؟! لا شك أن الأسرة الطيبة ، والأب والأم الصالحين سوف يكون نباتهما بإذن الله طيبًا ، فالأم أكثر الشخصيات التى تؤثر فى البنت ، كذلك جماعة الأصدقاء ، فالمرء يُعرف بصديقه ، كذلك البنت تُعرف بصديقاتها وصويحباتها اللائى يترددن عليها ، كما أن المظهر العام قد يدل على صاحبته ، والتى تلتزم بحجاب ربها وتستر عورتها حياءً وخوفًا أن يراها غير محارمها ، فهى لا تلبس ملابس تشف ، أو تصف الجسم ، ولا ينسى الرجل حين يتقدم لخطبة فتاة أن يستشير المقربين ، والذين يثق فى أخلاقهم وفى قربهم ، ويستخير الله تعالى ، يُصلِّى ركعتين استخارة ، وهما ركعتين نافلة مثل أى نافلة ، يصليهما ثم يدعو بعدهما بهذا الدعاء المأثور عن النبى ﷺ :

« اللهم إنى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وإنك أنت علام

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

الغيوب ، اللهم وإن كنت تعلم هذا الأمر (ويسميه باسمه) خيرًا لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ، اللهم وإن كنت تعلمه شرًا لى فى دينى ودنياى وعاقبة أمرى ، فاصرفه عنى ، واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به »[1] .

هل الكفاءة عنصر هام عند اختيار شريك الحياة ؟!

ونعنى بالكفاءة التقارب فى المستوى الاجتماعى والمالى والثقافى والفكرى بين الزوجين ، هذه الكفاءة ترى هل هى عنصر هام من عناصر السعادة الزوجية ؟! أن أنها تمثل عنصرًا ثانويًا لا قيمة له ؟! لا بد هنا أن نذكر شيئًا هامًا يخص المرأة فى هذا المضمار ، فالمرأة تكره أن يكون زوجها أدنى منها خصوصًا فى المستوى الاجتماعى ، فهى تحب أن تفتخر بزوجها أمام الناس ، وتفتخر بالانتساب إليه ، هذا فى الظروف الطبيعية وفى الحالة العامة ، والفارق الكبير والهوة السحيقة بين مستوى الزوج ومستوى الزوجة كثيرًا ما يثير المشاكل ، ويكون مصدرًا للمتاعب فى الحياة الزوجية ، ولهذا كانت التوصية النبوية الشريفة بنكاح الأكفاء ، فقال ﷺ : « تخيروا لنطفكم ، فانكحوا الأكفاء ، وأنكحوا إليهم »[2]، وكثيرًا ما وجدنا مشكلات بين الأزواج يرجع السبب فيها إلى عدم توفر عنصر الكفاءة بين الزوجين ، « وما عسى أن يقول المسلم فى شأن زينب بنت جحش رضى الله عنها ، وقد زوجها رسول الله ﷺ من مولاه ومعتقه زيد بن حارثة رضى الله عنه بأمر الله تعالى ، ومع ذلك فإن شعور زينب بأنها القرشية الكريمة بنت عمة رسول الله ﷺ أن تكون زوجة لرجل جرى عليه الرق ظلمًا وعدوانًا .. هذا الشعور بالتمايز حال بينها وبين التآلف مع

(١) الحديث رواه البخارى من حديث جابر رضى الله عنه .

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقى والحاكم ، وهو فى « صحيح الجامع » .

زوجها زيد ، مما آل الأمر أن طلق زيد زينب رضى الله عنها كما قص القرآن الكريم »[1] .

فزواج امرأة حرة كريمة من عبد أو من رجل كان عبدًا فى يوم من الأيام ، ثم اعتق ، هذا الزواج هو أقسى حالات نكاح غير الأكفاء ، وقد كان زواجهما بأمر رسول الله ﷺ لحكمة جليلة استبانت فيما بعد ، وإن نعجب من هذه القصة ، فالعجب الأكبر من قصة مغيث وبريرة :

لقد كان مغيث عبدًا وكذا بريرة ، فتزوجا وأحبها مغيث حبًّا جمًّا ، لكن بريرة قد اعتقت وأصبحت حرة ، فطلبت الطلاق من مغيث فطلقها ، لكن قلبه مال إليها ، فهو ما زال يحبها ، يقول ابن عباس رضى الله عنهما : إن زوج بريرة كان عبدًا يقال له : مغيث كأنى أنظر إليه يطوف خلفها يبكى ودموعه تسيل على لحيته ، فقال النبى ﷺ للعباس : « يا عباس ، ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثًا ؟ » ثم قال ﷺ : « لو راجعته » ، قالت : يا رسول الله تأمرنى ؟ قال : « إنما أشفع ، قالت : لا حاجة لى فيه »[2]، يعنى أنها لم تقبل شفاعة رسول الله ﷺ بأن ترجع إلى مغيث لأنها لا تريد أن تصبح فى عصمة عبد وهى حرة ، فإن هذا الشيء تكرهه ، وما كان رسول الله ﷺ ليأمرها لأنه يدرك طبيعة النفس البشرية ، لكنه كان يشفع فقط لمغيث لما رأى شدة حبه لها .

هذا وإن المرأة عند الغضب أو الاختلاف قد تُعيِّر زوجها بشىء ما ، إذا كان الفارق بينهما كبير ، وقد تكره الحياة معه لاختلاف البيئة أو لتعودها على أشياء معينة تختلف تمامًا مع ما عليه زوجها ، وهو لا يستطيع أن يوفر لها ما تريد ، وقليل من النساء من تصبر على مثل هذا فأنى للمرأة التى تعودت فى بيت أبيها على أنواع معينة من الغذاء والكساء تتحول مرة

---

(١) « آداب الخطبة والزفاف » ، الأستاذ / عبد الله ناصح علوان .

(٢) رواه البخارى .

واحدة إلى حياة أخرى غير التى درجت عليها ، وعندما يكون الفارق بسيطًا يمكن أن تتحمله الزوجة أو تتعود عليه ، لكن عندما يكون كبيرًا فهنا تكمن المشكلة .

كما أن التقارب الفكرى والثقافى بلا شك عامل استقرار للحياة الزوجية ، والتباين فى هذين المستويين ، والتباعد بين الزوجين فيهما غالبًا ما يكون معول هدم أو على الأقل سوف تكون الحياة رتيبة ومملة بالنسبة للزوجين داخل الأسرة .

مما سبق يتبين أن شرط الكفاءة من الشروط المعتبرة والهامة لاستدامة الحياة الزوجية ، وقد عدَّ فقهاء المذهب الحنفى الكفاءة شرطًا من شروط لزوم الزواج بمعنى أن انعدامه يجيز فسخ العقد ، يعنى إذا تزوجت المرأة البالغة العاقلة الرشيدة من زوج غير كفئ ، ولم يرض ولى الزوجة بهذا الزواج كان له الحق فى الاعتراض على هذا الزواج ورفع الأمر إلى القضاء ليفسخ هذا العقد ، بشرط أن تكون المرأة التى تزوجت لم تحمل بعد ، فإن ثبت حملها أو ولادتها فلا يجوز من الولى طلب فسخ العقد ، وذلك حفاظًا على مصلحة الولد وعدم تفريق الأسرة . هذا لأن الإمام أبو حنيفة هو الذى يجيز أن تزوج المرأة البالغة الرشيدة نفسها ، أما الجمهور فيشترطون لصحة عقد الزوجية رضا الولى وموافقته ابتداء ، ولا يصح عندهم النكاح بغير ولى للروجة .

والقانون المصرى على مذهب أبى حنيفة فى مسائل الأحوال الشخصية كما هو معلوم .



كيف تتعامل مع خطيبتك ؟

لا شك أن فترة الخطوبة بالنسبة للفتى والفتاة هى من أمتع الفترات فى عمر كل منهما ، ففى هذه الفترة تنمو بذرة الحب بين الطرفين ، وتسرى بينهما المشاعر الرقيقة ، والكلمات العذبة فى حياء وخجل ، يجعلان لهذه العلاقة طابعًا رومانسيًا خاصًا . والحقيقة أن هذه الفترة من الأهمية بمكان بالنسبة لما بعدها ، فهى فترة تمهيدية يتعرف فيها كلا الطرفين على الآخر ، وإن كان هذا التعارف تعارفًا ناقصًا إلا أنه مهم وضرورى ، وحتى لا يذهب العقل بعيدًا نحدد الخطبة ، فنقول كما قال العلماء : « الخطبة وعدٌ بالزواج » ومعنى أنها وعد بالزواج ، فهى ليست زواجًا فعليًا ، بمعنى أن مجرد الخطوبة لا تحل حرامًا ، ولا تحرم حلالًا ، وإن بعض ما يفعله الشباب والفتيات فى مرحلة الخطوبة من الخلوة ببعضهما البعض ، والخروج منفردين إلى المتنزهات واضعًا الشاب يده بيد الفتاة ، وغير ذلك من صور الفوضى الأخلاقية ، كل ذلك فوق أنه مخالف للشريعة ، فهو ليس فى مصلحة الشاب ولا الفتاة ، والعلاقات المفتوحة بهذه الصورة تغرى الشباب ذوى الأغراض الدنيئة لأن يتخذ من موضوع الخطبة تسلية للوقت ، وتسرية للنفس ، فيخطب هذه ليمكث معها وقتًا ممتعًا ، ثم يتركها ويخطب أخرى وهكذا .

وباعتبار أن الخطبة وعد بالزواج ، فإن المسلم صادق الوعد ، فإنه لا يخطب إلا من أجل الزواج ، وهذه هى أولى الخطوات فى مسألة الخطوبة ، وطالما أنه يخطب من أجل الزواج فلا بد من الاتفاق من بداية الخطبة على كل شىء خاص بأمر الزواج من مهر وجهاز وشقة .. وغير ذلك ، فالاتفاق الصريح والواضح على هذه الأمور من البداية يقطع حبل المشكلات التى يمكن أن تنشأ فيما بعد ، وكثيرًا ما سمعنا أن فلان وفلانة قد افترقا بعد مدة معينة من الخطوبة لاختلافهما حول موضوع ما خاص

بتجهيز الشقة أو المهر ، فالاتفاق من البداية على كل شيء مريح للطرفين وأدعى لاستقرار الأمور ، والمؤمنون عند شروطهم .

وعند الاتفاق لا تقرر شيئًا فوق قدراتك وإمكاناتك ، حتى لا تخل بشروط الاتفاق نتيجة لعدم استطاعتك تحقيقه ، اتفق مع الطرف الآخر على أشياء فى مقدرتك وفى متناول يدك ولا تتفق على أشياء فوق مستوى دخلك بكثير ، أنت بهذا تتعب نفسك وتحملها من البلاء ما لا تطيق ، وفى الحديث الشريف : « لا يذل الرجل نفسه ، قالوا : كيف يذل نفسه يا رسول الله ؟ قال : أن يحملها من البلاء ما لا تطيق » .

وانظر معى إلى هذا الحديث الشريف : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : إنى تزوجت امرأة من الأنصار ، فقال له النبى ﷺ : هل نظرت إليها ، فإن فى عيون الأنصار شيئًا ؟! قال : قد نظرت إليها ، قال : على كم تزوجتها ؟ قال : على أربع أواق ، فقال له النبى ﷺ : على أربع أواق ؟ كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل !! ما عندنا ما نعطيك ، ولكن عسى أن نبعثك فى بعث تصيب منه ، قال راوى الحديث : فبعث بعثًا إلى بنى عبس بعث ذلك الرجل فيهم »(١) .

ونستخلص من هذا الحديث عدة فوائد هامة فى موضوع الخطبة :

١ - جواز النظر إلى المخطوبة ، وقد وردت مسألة النظر فى أخبار أخرى منها قوله ﷺ لرجل خطب امرأة ولم ينظر إليها : « اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما »(٢) .

فالنظر إلى المخطوبة يساعد فى حب الخطيب لها واستدامة العشرة بينهما فيما بعد .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الترمذى ، وصححه الألبانى فى « صحيح الجامع » .

٢ - عدم جواز إخفاء شيء من العيوب الخلقية على الطرف الآخر : ونفهم ذلك من قوله ﷺ : « هل نظرت إليها ، فإن فى أعين الأنصار شيئًا ... » الحديث .

وإن الزوج أو الزوجة عندما يفاجئ بعد الزواج بعيب ما فى صاحبه لم يكن يعلمه من قبل ربما انقلب عليه وكرهه ، فوق أن فى ذلك خداع للطرف الآخر وتغرير به .

وهذا موضوع هام خاصة فيما يتعلق ببعض الأمراض التى لا يرغبها أحد الزوجين فى الآخر ، فإن إخفاء مثل هذا الأمر على الطرف الآخر خداع ، وعامل هدم للحياة الزوجية فيما بعد .

٣ - كراهة المغالاة فى المهور : ونفهم ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام : « على أربع أواق ؟! كأنما تنحتون الفضة من عُرض هذا الجبل » .

فقد كره رسول الله ﷺ أن يكلف الرجل نفسه مهرًا عاليًا ليس فى طاقته ، وفى الحديث : « إن من خير النساء أيسرهن صداقًا (مهرًا) » [(١)] ، وله شواهد أخرى .

٤ - وجوب مساعدة أولى الأمر طالب الزواج عند الاستطاعة : فطالب الزواج الذى يريد العفاف قد تكفَّل الله بعونه ، ويجب على أولى الأمر أن يوفروا له فرصة مناسبة للعمل من أجل الكسب وتحمل تكاليف الزواج ، وإلا انحرف الشباب ، وقد قال رسول الله ﷺ للرجل الذى كلف نفسه مهرًا كبيرًا : « ما عندنا ما نعطيك ولكن عسى أن نبعثك فى بعص تصيب منه ، ثم بعث بعثًا إلى عبس بعث ذلك الرجل فيهم كما ذكر الراوى » ، يعنى أن الرسول ﷺ باعتباره رئيس الدولة قام بمساعدة الرجل الذى يريد الزواج .

وفى فترة الخطبة يتجمَّل كلا الطرفين للآخر ، والتجمل مطلوب لكن

---

(١) رواه ابن حبان .

فى حدود معينة ، بحيث لا يصل إلى الغش أو إخفاء الحقائق ، أو الكذب على الطرف الآخر ، فالمستوى المادى للزوج أو الزوجة يجب أن يكون واضحًا تمامًا قبل الزواج ، وكذلك طبيعة عمل الرجل ومدى غيابه عن بيته ، وطبيعة عمل المرأة ، وهل هى على استعداد أن تترك العمل إن تعارض مع مهام بيتها وحقوق زوجها أم لا . كل هذه الأمور يجب أن تكون واضحة تمامًا .

ولا شك أن شيئًا من الخوف يعترى أسرة المخطوبة من غموض الخاطب بالنسبة لهم ، فهو بالنسبة لهم رمز مجهول لم يتعرفوا عليه بعد ، ومن ثم فلا تتضايق من كثرة أسئلتهم واستفساراتهم عنك وعن أحوالك وظروفك ، واعلم أنهم يحتاجون شيئًا هامًّا أنت تحتاجه أيضًا بمقدار ما هم يحتاجونه منك ، ألا وهو الثقة ، فكيف تكسب ثقتهم ؟!

لا شيء يجعل إنسان يثق فى آخر مثل الحب ، إن استطعت أن تجعلهم يحبونك عن طريق إخلاصك لهم وصدقك معهم وأن تحبهم أنت فسوف تكسب ثقتهم بلا شك . ولكن لا تنفتح عليهم أكثر من اللازم ، اجعل العلاقة بينكم حب واحترام متبادل . إن الصورة الأولى التى سوف يعرفونك عليها لن تتغير فى مخيلتهم ، إلا إذا حدث شيء عظيم يجعلهم يغيرونها ، لا تكن كثير المزاح حتى لا تفقد شخصيتك ، تصرف فى حدود المعقول . لا تكن متكبرًا ولا متعجرفًا ، الشخص المتكبر غير محبوب من الخالق سبحانه وتعالى ، وغير محبوب أيضًا من الخلق .

استكشف شخصية خطيبتك ، كيف ؟!

دعها تتحدث عن نفسها ، فكلنا يحب أن يتحدث عن نفسه ، نعم قد يأخذ الحديث عن النفس طابع المبالغة بعض الأحيان لكن الشخص حين يتحدث عن نفسه ينطلق على سجيته ، وتستطيع أن تتعرف على جوانب كثيرة من شخصيته .

كما تستطيع أن تتعرف عليها من خلال أسئلتك الموجهة[1]، ولا شيء يمكن التعرف على الشخص من خلاله أكثر من التعرف عليه من خلال تعامله مع الناس فى حياته العامة وفى بيته ، انظر إلى خطيبتك كيف تتعامل مع أبيها ، ومعها أمها ؟ وكيف تعامل أخوتها الكبار والصغار ؟!!

ثم كيف تعامل صديقاتها .. أى شخص يصعب عليه أن يتعامل مع الناس بشخصيتين ، نعم قد يتعامل الشخص فى عمله أحيانًا بطريقة تختلف عن بيته كما فى بعض الوظائف التى تحتاج إلى الشدة والقسوة ، لكن الطبع غلَّاب ، كما أن النساء لسن مثل الرجال ، والمرأة إن تجملت قليلًا فى التعامل فسوف تنطلق على سجيتها بدون أن تشعر فى بعض المواقف ، خصوصًا مواقف الإثارة والانفعال ، لغلبة العاطفة عليها بدرجة كبيرة .

وتستطيع أن تتعرف على جوانب كثيرة من شخصيتها عن طريق أمها ، فالبنت تلجأ لتقليد أمها شعوريًا أو لا شعوريًا فى أحيان كثيرة ، ثم إن الأم بالنسبة للبنت هى القدوة الأولى فى التعامل مع الزوج والأولاد وإدارة شئون المنزل وغيرها من الأمور النسوية .

لكن ليحذر الخاطب الخلوة مع خطيبته من غير وجود محرم لها ، وذلك لحرمة هذا الأمر للحديث الذى فى « الصحيح » : « لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم »[2]، فإذا اختلى رجل بامرأة خلوة صحيحة فإن الشيطان ثالثهما ، كما أن هذه الخلوة فى الفقه الإسلامى يترتب عليها أشياء كثيرة بخصوص الطرفين ، كما لا يخفى عاقبتها خصوصًا على المرأة .

---

(١) « يجوز أن تحدثه ، ويجوز أن يحدثها فى جلسة الخطوبة والنظر لأن صوت المرأة عند جمهور الفقهاء ليس بعورة .. » ، الدكتور / عبد الله ناصح علوان .

« آداب الخطبة والزفاف » (ص ٦٠) .

(٢) رواه البخارى .

ولكن كيف تتأكد من أن هذا الشخص هو الشخص المناسب لك للزواج ؟

هذه بعض الأسئلة وفى الإجابة عليها بالإيجاب رد على السؤال :

١ - هل ترضى عن أخلاق خطيبتك ، وعن طريقة لبسها ، وطريقة كلامها .. ؟!

٢ - هل تشعر بأن أسرتها أسرة طيبة ، متدينة ، من أصل عريق ؟!

٣ - هل هناك تقارب اجتماعى ومادى بينكما ؟

٤ - هل والدك ووالدتك يوافقان على خطبتك هذه ؟ وهل هناك أسباب موضوعية لرفضهما إن كانا لا يوافقان ؟

٥ - هل هناك تقارب فكرى وثقافى بينكما ؟ وهل لكما آمال مشتركة وأهداف مشتركة ؟

٦ - هل ترى أن خطيبتك هى الشخص المناسب بالنسبة لك ؟ أم أن الظروف تدخلت فى خطبتها ؟

٧ - هل تقدمت للخطبة بهدف الزواج ؟ وهل تدرك خطورة هذا الأمر ؟

٨ - هل أنت فخور بنسبك مع تلك العائلة ؟

٩ - هل تشعر بأن حماتك (أم خطيبتك) على درجة عالية من الحكمة فى تربية الأبناء وإدارة شئون المنزل ؟

١٠ - فى بيت خطيبتك ، هل تطغى شخصية الزوج على زوجته ؟ هل يحدث العكس ؟ وهل لديهم شورى فى إدراك الأمور ؟ وهل أحدهما شخصيته متسلطة ؟ من منهما ؟!



الزوج المثالى فى عيون النساء :

- المرأة تهتم بالشكل والهيئة أكثر من الرجل ، كما أن المرأة تفضل الشخص حسن الهيئة ، الأنيق ، المهندم ، ولا يعجبها ذلك الشخص الغير مهتم بمظهره ، ولقد كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول : « إنى لأحب أن أتزين لزوجتى كما تتزين لى » .

ومقاييس الجمال فى الرجل تختلف من امرأة لأخرى، ويذكر صاحب كتاب « كيف تفهم الجنس الآخر ؟ » استطلاع للرأى قامت به مجلة « طول العمر » الأمريكية حول بعض الأسرار الخاصة بالنسبة للنساء والرجال جاء فيه : « أن أكثر ما تكره المرأة فى الرجل : الجسم السمين (٧٠٪) والصلع (٤٩٪) ، والقصر (٤٨٪) ، وأساليب الحب (٤٧٪) ، وتجاعيد الوجه (١٢٪) » .

- وتحب المرأة الرجل الذى يمتاز بالكياسة واللباقة ، الذى يمنحها الحب ، ويعرف كيف يكسب قلبها ، والذى يشعر ما بأنه مهتم بها ويحبها ، والذى يستطيع أن يتغلب على المواقف المحرجة ، والذى يغدق عليها الثناء ، والمديح وكلمات الحب ، ويبدى إعجابه بما ترتديه من ثياب ، فالرجل قد لا يتأثر كثيرًا حين يمدح أحدٌ فيه جمال المظهر مثلًا ، بينما المرأة تطير فرحًا حين تمدح فيها مثل هذا الشىء ، فإذا قلت لزوجتك : ما أجمل هذا الثوب الذى ترتدينه ، فإنها تتأثر كثيرًا بهذا الثوب ، وتلبسه لك فى خير الأوقات ، إن كلمة الثناء والمديح تستأثر قلب الإنسان أيًا كان ، وهى بالنسبة للمرأة أشد ، وتأسر قلبها .

وتحب المرأة فى الرجل الثقة بالنفس وعدم التردد ، لأن المرأة بطبعها مترددة ، لذا فهى تريد رجلًا واثقًا بنفسه وله القدرة على اتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب ، ويكون لديه الجرأة والشجاعة اللازمة لذلك ، ونستطيع أن نقول : إن القوة والشجاعة والثقة بالنفس ثلاثية الإعجاب بالرجل عند النساء ، وعكس ذلك ترفضه المرأة .

- وترفض المرأة الرجل المتسلط الذى يلغى وجودها ، وينفرد بالرأى فى كل كبيرة وصغيرة ، ولا يشاورها فى الأمر ، وهى تعتبره يحتقرها ويجعلها كقطعة من أثاث المنزل ، فالرجل الودود الذى يشاور زوجته فى أمور البيت ، هو نعم الرجل ، وهو عندها على العين والرأس .
- وتحب الزوجة الزوج المتعاون ، الذى يقدِّر المسئولية الكبرى الملقاة على عاتقها ، من تدبير البزيت وتربية الأولاد ، فالزوج حين يساعد زوجته ولو مساعدة بسيطة فى أمور المنزل ، تشعر زوجته بمشاركته وبحبه القوى لها .
- والمرأة تحتاج إلى الرجل الذى يعطيها من وقته جزءًا ولو يسيرًا كل يوم ، ليتحدثان ويفضى بعضهما إلى بعض ، ولا يكون وقته كله للعمل ، بحيث إذا عاد إلى البيت ، أخلد إلى النوم ، ليستيقظ فى اليوم التالى ليبدأ يوم عمل جديد .

إن المرأة مع الانشغال الدائم بين عمل المنزل وظروف الأولاد تشعر بالسأم ، ومن ثم فهى تحتاج لمن تتحدث معه ، وتحتاج لنوع من الترفيه ، والتغيير فى الحياة اليومية ، والتى قد تصبح على وقيرة واحدة ، ومن ثم كان الزوج الذى يدرك هذا الأمر فيقوم من آن لآخر بأخذ زوجته وأولاده إلى (رحلة خلوية) مثلًا ، للترفيه ولكسر حدة الروتين اليومى ، هذا الزوج يعرف كيف يكسب ودَّ زوجته .

المرأة المثالية فى عيون الرجال :

● الرشاقة والجمال : لا شك أن العنصر الأول الذى يبحث عنه الرجل عند اختيار شريك الحياة هو عنصر الجمال ، والجمال له مقاييس متعددة ، لكن معظم الرجال يفضلون قبل الجمال الحسى الجمال المعنوى ، بمعنى جمال الطبع والأخلاق ، ثم بعد ذلك جمال العينين وصفاءهما ، يقول الدكتور / كارتاير وشيف (طبيب نفسى) : « أن أول شىء ألاحظه فى

المرأة عيناها ، فإذا كانتا تتألقان فإنها تتمتع بروح مرحة »[1] ، وليس المقصود بالجمال أن تتزين المرأة بطريقة فجة كما تفعل بعض النساء فتبدو وكأنها عارضة أزياء ، فهذه لا يفضلها الرجال ، لكن المرأة الجميلة فى أدب وحياء ، التى لا تلبس من الملابس ما يثير غرائز الرجال ، هذه المرأة يحترمها الرجل ، ويودُّ الاقتران بها ، لأنه يشعر أنها امرأة ليست خاوية مثل الأخرى التى تود لفت الانتباه بما تلبسه وتضعه على وجهها ، فهذه تعبر عن عدم ثقتها بنفسها ، لأنها لو كانت واثقة بنفسها لما ظهرت بتلك الصورة اللافتة ، إن البساطة وعدم التكلف هو ما يحبه الرجل ويحبذه ، يقول شولبرج : « المرأة الجذابة لا تشعر أنها متكلفة فى مظهرها ، بل تشعرك ببساطتها »[2] .

وتختلف نظرة الرجال أيضًا لجمال المرأة من حيث اللون : البيضاء أم السمراء ، ومن حيث الحجم : البدينة أو النحيفة .

أما اللون فيختلفون فيه ، فالبعض يفضلها سمراء والبعض يفضلها شقراء ، وإن كان الجمال يوجد فى هذه وتلك وليس له علاقة بلون البشرة ، وأما من حيث الحجم ، فنسبة كبيرة من الرجال لا يفضلونها بدينة ، أغلب الرجال ينفرون من المرأة البدينة .

- المرح والابتسامة : المرأة المبتسمة المرحة ذات الوجه المشرق ، هى دائمًا محط نظر الرجل حين يختار شريك الحياة ، ولا نقصد بالمرأة المرحة ، المرأة التافهة التى تبتسم فى كل وقت ، كلا ، ولكن المرأة التى ليست عبوس ولا تميل للحزن ، وإنما تميل للمرح والفكاهة .
- الثقافة والوعى : الرجل يحب المرأة المثقفة الواعية ، وليس المرأة الجاهلة التى لا تشاركه أفكاره وآماله وتطلعاته ، وكل همها الطعام والشراب واللباس والزينة ، وليس معنى أنها مثقفة أنها متفلسفة كلا ، فهذا النوع غير مفضَّل بالنسبة للرجال .

---

(١) ، (٢) عن كتاب « قاموس المرأة الطبى للصحة والجمال » ، الأستاذ / محمد رفعت .

- الصراحة والوضوح : الرجل يفضل فى المرأة الصراحة والوضوح ، ويمقت فيها الكذب والغموض ، فإن المرأة حين تكذب على الرجل أو تخفى عنه بعض الأشياء الهامة أو بعض الحقائق الهامة فى حياتها فإن الرجل يفقد الثقة فيها ، والمرأة تعرف أن هناك كذب يفسد العلاقة بينها وبين شريك الحياة .

- الاستقلالية : الرجل يفضل المرأة المستقلة فى أفكارها ، وآراءها ، التى لا تقلِّد غيرها فى كل شىء ، وإنما لها شخصية مستقلة ، فهى لا تسمع كلام الغير بغير تفكير ، وإنما تزن الأمور بميزان الحكمة ، فأكثر ما يضايق الرجل أن تكون شريكة حياته سمَّاعة لغيرها تتأثر بكل كلمة ، فإن هذا يؤثر على سلوكها مع زوجها ويثير كثيرًا من المشكلات .

- عدم السيطرة : بعض النساء تسعى للسيطرة على الزوج بكل الطرق ، فهى تريد ألا يفعل زوجها إلا ما يرضيها ، وتتحايل على الأمور حتى تسيّرها كما تريد ، والرجل يكره هذا الصنف من النساء ، لأنها تنازعه فى صفة هامة من صفات الرجولة ، وكل الرجال يفضلون المرأة المطيعة لزوجها الهيِّنة الليِّنة السهلة الطباع ، التى لا تركب رأسها وتريد تنفيذ رأيها وتخالف من أجل المخالفة .

- الصمت أحيانًا : يكون الصمت أحيانًا من ذهب ، والرجل يحب المرأة التى تدع له الفرصة كى يتحدث عن نفسه ، ويحكى ما يحدث له ، والمرأة بطبعها تحب أن تتكلم كثيرًا ، ولا يحب الرجل فى المرأة الثرثرة ، والمرأة المستعمة الجيدة للرجل تكسب قلبه ، وتشعره بالسرور والسعادة عند الجلوس معها .

- الحياء والخجل : يتغنى البعض بصاحبة العيون الجريئة ، والعيون الجريئة ليست إلا عيون وقحة لأنها فقدت أخص خصائص الأنوثة وهو الحياء والخجل ، والتمنُّع ، ومن المعروف عن النساء أنهن يتمتعن وهن

الراغبات ، فالمرأة ذات الحياء والخجل تثير الرجل أكثر من المرأة الأخرى ، لأن الرجل بطبعه غير خجول وبالتالى فهو يحب المرأة الخجولة ، فالخجل من الصفات التى تجذب المرأة للرجل ، فالبجاحة من المرأة وعدم الحياء صفات غريبة عن مجتمعنا مستوردة من الغرب ، مخالفة للفطرة الإنسانية السليمة ، وعلماء الغرب يدعون نساءهم إلى التقرب إلى الفطرة السليمة ، والرجوع إلى الأخلاق الفاضلة .

- الثقة : الزوجة المثالية هى التى يشعر معها الزوج بالثقة ، فيخبرها ويسرُّ إليها بما فى نفسه ، وهو لا يخشى أن يطلّع أحد على سره ، فهى كاتمة سره ، الأمينة على بيته وأولاده ، لا تتحدث بأى حديث أمام أى من الناس ، ولكنها تختار الكلام المناسب للشخص المناسب فى الوقت المناسب ، فتستطيع أن تدرك متى تتكلم ومتى يجب أن لا تتكلم فى موضوع ما .

- التدبير : وهى المرأة التى تحسن تدبير المنزل ، وتقدِّر دخل زوجها ، وحال بيتها ومطالبه ، وتوازن بين هذا وذاك ، فلا تجعل اليد مغلولة ، ولا تبسطها كل البسط ، ولا شىء أفضل من الاقتصاد ، « فما عال من اقتصد » كما جاء فى الحديث الشريف ، ولا عز إلا فى القناعة .



كيف تكون الشخص المناسب لشريكك فى الحياة ؟

الزواج يحتاج منك أن تكون الشخص المناسب أكثر من أن تحاول أن تجعل شريكك الشخص المناسب لك ، وهذا يعنى أن تتنازل أنت عن بعض الأشياء التى لا يرغبها ، ولا تطلب منه أن يتنازل عن كل شىء لا يعجبك فيه ، وربما هذا ما يقصده الحديث الشريف : « لا يفرك (يعنى يبغض) مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقًا رضى منها خلقًا آخر »[1].

فليس معنى أنك تكره شيئًا فى زوجتك أنها سيئة ، أو يؤدى ذلك إلى أن تبغضها ، وليس أن تكرهى شيئًا فى زوجك أو أشياء أنه سيئ ، أليست له حسنات ؟ أليس فيه صفات تحبينها ؟! أليس هو يحبك ؟!

لماذا لا تحاولى أن تتنازلى بعض الشىء لإرضاء زوجك ، هل الأفضل أن تكونى سعيدة فى حياتك الزوجية أو أن تتصلبى فى آرائك وأفكارك وتعاندى زوجك ؟! تأكدى أيتها الزوجة أن السعادة سوف ترفرف على دارك إن حاولتى اكتساب بعض الصفات التى يرغبها فيكى الزوج ، إن الانتصار على النفس شىء عظيم يشعر الإنسان بسعادة بالغة ، جرِّبى هذا وسوف تشعرين بلذة الانتصار على النفس ، وعلى كلا الزوجين ألَّا يقف بالمرصاد أمام كل خطأ لشريكه فى الحياة ، فليعفو وليصفح ، وليعرف أن هناك طباع لن يستطيع تغييرها ، فليحاول التعامل معه عليها .

ولا يكثر النقد له عند كل فعل لا يعجبه ، فنقد الزوجة بكلام جاف أو جارح عامل هدم للحياة الزوجية .

تقول الكاتبة « دوروتى ديكس » : « إن أكثر من نصف الزوجات اللواتى يمكن أن يحظين بالسعادة يتحطمن على صخور المحاكم بسبب النقد وحده » ، « وهى تعنى النقد العقيم الذى يكسر القلب ، ويذل النفس ،

---

(١) رواه مسلم .

فعليك أيها القارئ : أن لا تنتقد نقدًا عقيمًا يكسر القلب ، ويذل النفس »[1] .

ولا تسخر من طريقة شريكك فى الحياة ، لا تسخر من طريقته فى التفكير أو فى اللهو واللعب ، أو الهوايات التى يحبها ويفضلها ، دعه يفعل ما يحب ، وما يسبب له السعادة .

يقول « هنرى جيمس[2] » : « أول ما ينبغى أن تتعلمه فى فن معاملة الناس هو ألا تعترض الطرق التى يستمدّون منها السعادة ، اللهم إلا إذا كانت هذه تعترض بالقوة طريقك أنت » .

ومن باب أولى أن يبتعد الزوج عن الإهانات فى الحياة الزوجية ، فلا يهين زوجته أو يشتمها مهما كانت الأسباب ، لأن الإهانة تستمر فترات طويلة ، ولا يمكن إزالة آثارها النفسية بسهولة ، ويبتعد أيضًا عن الضرب المبرح فضرب الزوجة أشد الأمور عليها ، وقد تعجب الرسول ﷺ من الزوج الذى يضرب زوجته ضربًا مبرحًا ثم يجامعها آخر الليل ، كيف يحدث هذا ألا يستحى ؟! إن هذا الشخص مريض نفسيًا ويحتاج للمعالجة ، فالرجل الطبيعى لا يمكن أن يفعل هذا ، يقول ﷺ : « يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد ، ولعله يضاجعها من آخر اليوم »[3] .

وحتى تصبح الشخص المناسب لشريكك فى الحياة لا تنساه من كلمات الشكر والتقدير ، بكل الحب وبدون تكلف ، أشعر زوجتك أنها ناجحة ، وأنها تقوم بعملها على أكمل وجه ، ولا تظن أن هذا سيدعوها للتكاسل أو الاعتقاد أن ليس لها أخطاء ، كلا ، هذا سيساعدها على العمل بروح التفانى والإخلاص .

وكذلك أيتها الزوجة أشعرى زوجك بأنه الشخص المناسب وأنه عندك هو أعظم الرجال ، وأنك فخورة به ، ومعتزة بالانتساب إليه و هذا لن

---

(١) ، (٢) نقلًا عن « دايل كارنيجى » « كيف تكسب الأصدقاء ؟ » .

(٣) الحديث متفق عليه .

يدعوه إلى الغرور ، وإنما سيدفعه للعمل ، وسيطمئن عليك وعلى حبك له ، وإخلاصك ، إن التشجيع والثناء من أكبر الدوافع للنجاح والعمل .

ليتذكر الرجل حاجة المرأة إلى الحب والعطف ، ولتتذكر المرأة حاجة زوجها إلى الاحترام والتقدير ، ولا ينسى بعضهما بعضًا من الهدايا بين الحين والحين ، وخصوصًا فى المناسبات السارة ، فالهدايا فى الحياة الزوجية لها آثار كبيرة على نمو الحب وقوته ، والقضاء على ما يعلق فى النفوس من شحناء ، وفى الحديث الصحيح : « تهادوا تحابوا »[1].

حاول أيها الزوج بين الحين والآخر أن تدخل السرور على قلب زوجتك بشىء تحبه ، سوف تسعد بذلك كثيرًا ، وينعكس ذلك على حياتك الزوجية ، وحاول أيضًا أن تعالج ما تشتكى منه من زوجتك بأسلوب رقيق ، وبكلمات هادئة ، فإن حدث أن قدمت لك الطعام يومًا باردًا وأنت تحبه ساخنًا فلا تقل لها : « ما هذا ألا تعلمين أنى لا آكل الطعام هكذا ؟ ألم تتعلمى كل هذه السنوات ؟! » يمكن أن تعالج الأمر بطريقة لطيفة كأن تقول لها : « فيما يبدو أن مشاكل الأولاد اليوم جعلتك تنسين تسخين الطعام كما أحب ! » ، حينئذ يمكنها أن تقوم بتسخين الطعام أو تعتذر لك برفق إن أنت رضيت وأخذت فى تناول الطعام .



(١) رواه الترمذى .

كيف تصبح الخلافات الزوجية من عوامل استقرار الأسرة ؟

أيتها الزوجة بيدك مفتاح السعادة :

هل تعلمين أن الزوجة فى أى بيت هى مفتاح سعادته ؟! وأن انصراف الزوج عن زوجته السبب الرئيسى فيه هو سلوك زوجته نحوه .

« قامت ميلسا ساندرز الأمريكية باستطلاع للرأى على نحو ألف سيدة تتراوح أعمارهن الزوجية بين ثلاثة أعوام وعشرين عامًا على الزواج فتوصلت بعد هذا البحث والاستطلاع إلى أن معظم حالات انحراف الأزواج تأتى نتيجة لجفاف معاملة زوجاتهم » (١) .

ويؤكد الدكتور / رايت فى كتابه « التفاهم مفتاحك إلى السعادة الزوجية » : « أن المسئول الأول عن نشوب الخلافات الزوجية هو وحده مزاج الزوجة ، وليس الزوج ، فإنها مهما بلغت حدة مزاج الزوج فإنها ليست عنصرًا فعالًا فى تصعيد النزاعات العائلية ، خاصة إذا ماذقوبلت بهدوء من قبل الزوجة » (٢) ، وقد توصل الدكتور / رايت لهذا الأمر نتيجة بحث طويل وتجارب عملية كثيرة .

ماذا لو حاولت معالجة الأمور بهدوء أعصاب ؟ وماذا لو عاد زوجك من العمل فوجد ابتسامة - طبيعية غير مصطنعة - مرتسمة على شفتيك ؟

وماذا لو أجّلت مشاكل الأولاد لحين يستريح الزوج من عناء العمل ، ويتناول طعام الغذاء ؟!

وماذا لو سمحت للزوج بأن يحكى لك ما حدث له اليوم فى العمل وكنت له مستمعة جيدة ؟!

---

(١) ، (٢) عن كتاب « قاموس المرأة الطبى » ، الأستاذ / محمد رفعت .

تلك أشياء بسيطة وتافهة لكنها عظيمة ومثمرة ، إنها تثمر الحب والسعادة الزوجية ، المفتاح بيدك أليس كذلك ؟!

الخلافات الزوجية من سمات الزواج الناجح :

قد يتعجب القارئ : كيف تكون الخلافات سمة من سمات النجاح ؟!

نقول : إن الزواج الناجح ليس معناه أنه زواج خالى من الخلافات الزوجية أو المشكلات بين الرجل وزوجته ، وقد كان خير البيوت « بيت النبوة » بيت رسول الله ﷺ لا يخلو من الخلافات الزوجية ، والأمثلة على ذلك كثيرة [1] ، لأن الخلافات الزوجية يمكن أن تكون عامل بناء لا معول هدم للحياة الزوجية ، فبها يتعرف الزوجين أكثر على طباع بعضهما البعض ، وبها يكتسبان صفات لم تكن فيهما من قبل ، مثل الصبر والحلم ، وهى صفات هامة وجليلة ، وهى من صفات النبوة .

وعن طريق الخلافات الزوجية تزداد الحنكة والخبرة لدى الزوجين فى التعامل مع الأحداث ، فحين يحدث خلاف يسعى كلا الطرفين - حين يجلس مع نفسه - للوصول إلى السبب الرئيسى فى الخلاف ، وكيف تطور هذا الأمر ، ثم يضع خطوات إيجابية لتجنبه فى المستقبل ، ثم يحاول أن يعدِّل من سلوكه ، ويتنازل قليلًا عن تعصبه لشىء معين ، وبذلك تزداد خبرة كلا الزوجين فى الحياة وفى مواجهة مشكلاتها ؛ لذلك ينبغى على كلا الزوجين أن ينظر إلى المشكلة أو الخلاف الذى يحدث على أنه أداة من أدوات التفكير ، للوصول إلى أفضل الحلول ، كأن ثمة مشكلة قد واجهته فى عمله وهو يسعى لحلها . ويناقش الموضوع كأنه شخص محايد خارج موضوع الخلاف أو المشكلة ، وليفترض فى نفسه الخطأ ، فليس المرء دائمًا على صواب ، لأن مشكلتنا نحن الأزواج فى طريقة تعاملنا ، مع الخلافات الزوجية أننا نفترض الصواب فى جانبنا والخطأ فى جانب الطرف الآخر

---

(١) انظر : أمثلة ذلك فى كتاب « الخلافات الزوجية وحلول عملية » للمؤلف .

دائمًا ، ثم نتعامل مع المشكلة على هذا الأساس ، فنحاول تغيير الطرف الآخر ، ليتفق مع ما نحب ، وربما لو أننا نظرنا للموضوع نظرة منصفة ، نظرة عادلة ، لا تحيد يمينًا ولا يسارًا ، لرأينا أن الخطأ مشترك ، أو أننا نحن المخطئون هذه المرة ، ومرات أخرى ، وأننا نحن نحتاج لأن نقف مع أنفسنا وقفة إصلاح ، أو اكتساب بعض ما ينقصها من صفات طيبة ليست موجودة ولكنها ضرورية للتعامل مع الناس .

إن أسهل شيء أن نلقى اللوم على الآخرين ، وأن ننأى بأنفسنا عن الخطأ ، لكن الصعب والعسير أن نلقى اللوم على أنفسنا ونحاول إصلاحها ، الشخص الذى يلجأ للأسلوب الأول لن ينجح وسيظل يشتكى ويئن من المشكلات الزوجية ، بينما الشخص الآخر سيصبح أكثر سعادة بمرور الوقت ، رستتبدل حياته الزوجية إلى حياة سعيدة خالية إلى حد ما من المنغصات ، ولا نقول من الخلافات ، مع العلم أن هناك أمورًا كثيرة لا نسميها مشكلات بقدر ما نسميها شيئًا من لوازم الحياة المشتركة ، مثل الخلافات فى الرأى حول موضوع ما ، فهذا أمر طبيعى ، طالما لم يتطور ، وطالما يحترم كل طرف وجهة نظر الطرف الآخر ، ولا يكن أحد الزوجين مستفزًا للآخر ، وليتسم بالأدب معه ، ولنبتعد عن الاتهامات القائمة على غير أساس صحيح ، فسوء الظنّ من أكبر أسباب المشكلات الزوجية ، ولنعلم أنه ليس هناك حياة مثالية أبدًا ، لأن ذلك غير موجود فى الدنيا ، وأن السنوات الأولى فى الزواج عرضة للخلافات ، فلا يتعجل كلا الطرفين ، بالحكم بكونه غير مناسب لهذا الشخص أو العكس ، فلنعلم أن أكثر من ٥٠٪ من حالات الطلاق ، تكون فى السنوات الأولى من الزواج ، فليلتزم كلا الزوجين الصبر ، وحُسن العشرة ، وليتحلى بالحب الخالص لشريكه فى الحياة ، وليعلم أنه طالما أن صفاته الحسنة تغلب السيئة ، فهو الشخص المناسب له ، لا تحول الحب إلى عداء بينك وبين شريكك فى الحياة مهما كانت الظروف ، فالحب يحسم كثيرًا من الخلافات ، ويمنع تطورها .

همسة فى أذن الزوج :

ذكرنا من قبل أن المرأة (الزوجة) كثيرًا ما تكون السبب فى نجاح الحياة الزوجية أو فشلها ، ولكن هذا لا يعنى أن الزوج بعيد عن هذا الأمر ، فإن الزوج ممكن أن يصبح سببًا أيضًا فى ذلك ، عندما يتعامل مع زوجته من منطلق تعامله السابق مع أمه ، فالرجل قبل الزواج المرأة التى كان يتعامل معها هى الأم ، والأم تعطى عطاءً ليس له حدود ، ثم هى لا تنتظر الرد أو المكافأة ، حتى إذا أغضبها الابن فإنها تعفو عنه ، وتسامحه ، ولا تلومه أو توبّخه ، لكن الزوجة مهما يكن فهى ليست أم للزوج ، ولن تكون ، فعطاء الزوجة قائم على علاقة متبادلة ، بينها وبين زوجها ، فهى كما تعطيه وتعينه وتساعده تريد أيضًا منه العطف والحب والمساعدة ، إنها كما يحتاج إليها تحتاج إليه ، وكما له حقوق عليها ، فعليه واجبات نحوها ، وهى لن تكون فى سماحة الأم حين يغضبها زوجها ، فالزوجة حسَّاسة لما يصدر من الزوج ، والفرق بين الزوجة والأم واضح لا يحتاج لكثير بيان ، ولكن نحن الأزواج كثيرًا ما ننسى هذا الأمر ، ونتعامل مع زوجاتنا كما نتعامل مع أمهاتنا ، « فنسوق عليهن الدلال » ، وننفعل عليهن ، ونريد منهن عطاءً بلا مقابل ، أو ننظر إلى متطلباتنا أكثر مما ننظر إلى متطلباتهن ، كما تحب أن تأخذ فلا بد أن تعطى ، وكما تحب أن تصبر عليك زوجتك ، وتتحمل انفعالاتك ، فاصبر عليها أنت أيضًا وتحملها ، ولنا القدوة والمثل فى سيدنا رسول الله ﷺ ، فقد كان أرحم الناس بأهله ، صبورًا عليهن ، وعلى طباعهن ، معاونًا لهن فى البيت ، وكان يقول : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى »[1] .



---

(١) انظر : « صحيح الجامع الصغير » للألبانى .

هل تختلف مع زوجتك أمام الأبناء ؟!

يرى البعض أن الخلافات الزوجية طالما التزمت حدود الأدب واحترام وجهة النظر الأخرى ، وعدم علو الصوت أو الانفعال ، لا شيء فى ظهورها أمام الأبناء ، حتى يتعلم الأبناء أن الخلاف فى وجهات النظر أو الآراء شيئًا طبيعيًا وعاديًا ، ولا يؤدى إلى اختلاف القلوب ، بل يظل الحب قائمًا رغم وجود خلاف فى مسائل معينة ، بينما يرى آخرون أن الأفضل ألا يحدث أى خلاف بين الزوجين أمام الأبناء ، ونحن نميل للرأى الأول ، وهو رأى الكثير من علماء النفس ، حيث أنه لا يمكن تفادى الاختلاف مطلقًا أمام الأولاد ، وإن حاول الزوجين إخفاءه فإن الأولاد بفطنتهم وذكاءهم يكتشفونه .

نحن أحيانًا نستغبى أبناءنا ، ونظن أنهم غير أذكياء للدرجة التى يفهمون بها متى يكون الأب والأم على وفاق ، ومتى يكونان مختلفين أمام المشكلات الزوجية المصحوبة عادة بارتفاع فى الصوت وانفعال ، ولا يستطيع الزوجين التحكم فى مشاعرهم وحواسهم أثناءها ، فمن الخطورة أن يتعرض الأبناء لمثل هذه المشكلات بين الأب والأم ، فالأطفال الذين ينشئون بين أب وأم دائمى المشاكل ، يصيبهم كثير من القلق حول مستقبلهم فى الحياة ، ويخرجون للحياة بفكرة خاطئة عن الأسرة والزواج ، وقد يكره أحدهم فكرة الزواج من أساسه ، ويعتبره جالبًا للتعاسة .

وليحذر أيًا من الزوجين من الشكوى للأولاد من الطرف الآخر ، أو اعتبار نفسه ضحية أخطاءه .

يقول الدكتور سبوك « حديث الأمهات » : « وأكرر مرة أخرى لا داعى لأن يلعب أحد الوالدين دور (الشهيد) المعتدى عليه ، والمغلوب على أمره .. يجب ألا يحدث ذلك من أحد الوالدين لأنه يملأ نفس الطفل بقلق وضيق نحو واحد من اثنين يعتبرهما هو كأعز وأثمن ما يملك .. إنهما وسيلة الحياة ، ومصدر الحسنات .. إنهما الأب والأم » .

تلك كانت شهادة من طبيب أطفال خبير بشئونهم ، ونحن نعرف حق الوالدين على الأبناء ، وثواب البر بهما ، وجزاء عقوقهما ، وإن المرأة الساذجة التى تظهر لأبناءها أنها ضحية أخطاء أبيهم - برغم أن الأمر قد يكون خلاف ذلك - إنما تدعوهم لأن يكرهوا والدهم ، وهذه دعوة وقحة ، لما للآباء من فضل عظيم ، ولأن ذلك يدعوهم إلى عقوق أبيهم وهو كبيرة من الكبائر التى تلحق صاحبها بجهنم نعوذ بالله منها ، كما أن الأب الجاهل الذى يحدث أولاده بأن أمهم هى سبب كل المشاكل وأنها أم غير صالحة أيضًا ، فإنه بذلك يدعوهم للسخط عل أمهم وعقوقها ، وهذا من الكبائر أيضًا .

وخلاصة القول أنه ينبغى حل الخلافات بمنأى عن الأبناء ، وتجنب أن يهين أيًا من الزوجين الآخر ، وأن يُفهم الوالدين الأبناء أنهما قد يختلفا فيما بينهما فى أمور معينة لأن هذا من طبيعة الحياة ، فليس اثنان يمكن أن يتفقان فى كل شيء ، لكن هذا الخلاف لا يقلل من حب أحدهما للآخر ، أو محاولة النيل منه ، إنما هم مع وجود الخلافات سعداء ويحبون أبناءهم ، ويسعون نحو سعادتهم .

كما يجب التنبيه على الزوجين ألَّا يجعلا من الأبناء سببًا للخلاف بينهما ، فيختلفان بين الحين والآخر حول طريقة التربية وتقويم السلوك ، أو حول ما يقدمونه للأولاد من ملبس ومأكل ومشرب ، .. لنعلم أن كل هذه أموز نسبية بدرجة كبيرة ، لا يجب أن نجعل مصدرسعادتنا مصدر لشقاءنا ، لنتعامل مع الأمور بهدء أعصاب ، ولندع التوتر والانفعال جانبًا ، الدراسات أثبتت أن انفعال الوالدين يؤثر على طريقة تعامل الأبناء ، فيخرجون مثل آباءهم فى طريقة مواجهة المشكلات والانفعال معها ، والتوتر تجاه أى أمر حتى لو كان هينًا .



الزوجة والزوج في خريف العمر :

يعترى المرأة عند سن انقطاع الدورة الشهرية ، والذى يسميه البعض « سن اليأس » بعض التغييرات الفسيولوچية ، ويصاحبه تغيرات نفسية ، تبعًا لذلك ، وهذا السن وإن كان يختلف من امرأة لأخرى ، إلا أنه فى المتوسط ، سن الخمسين أو يزيد قليلاً ، وتشعر المرأة حينئذ بفقد شيء كبير ، فقد أصبحت لا تقدر على الإنجاب - برغم أنها قد تكون متوقفة عنه منذ فترة طويلة بإرادتها - لكن شعورها بفقد هذا الشيء قد يشعرها بفقد جزئى للأنوثة ، فيعترى بعض النساء فى هذه السن صفات وخصائص الفتيات المراهقات ، وقد تجد المرأة تبالغ فى الزينة ، أو لبس ملابس قد لا تليق بسنها ، وتظهر على المرأة أيضًا فى هذه السن أعراض العصبية ، والانفعال لأسباب قد تكون تافهة ، ولم تكن تنفعل المرأة إزاءها من قبل ، كما تظهر على المرأة أعراض الغيرة ، الشديدة على زوجها ، وتتصور أنه من الممكن أن يتزوج عليها ، فتكثر أسئلتها واستفساراتها عن أماكن ذهابه وإيابه ، وتدور الشكوك بعقلها ، وإن لم تتدارك هذا الأمر وتثوب إلى رشدها ، فقد تصاب بالشك المرضى ، ويرى بعض علماء النفس أن سن اليأس عند المرأة عادة ما يسبق « بتجدد الرغبة فى الخلق والإبداع ، خصوصًا وقد أصبح لدى المرأة متسعًا من الوقت بعد أن كبر أبناءها واستقلوا عنها »[1] .

وقد تصاب المرأة فى هذه السن أيضًا بآلام حادة فى العظام نتيجة لنقص عنصر الكالسيوم والذى يؤدى إليه نقص هرمون الاسترين فى الدم .

والمرأة أكثر تعرضًا أيضًا لمرضى (لين العظام) فى الكبر من الرجل ، ولأمراض السكر والسمنة ، خصوصًا أن كثير من النساء الشرقيات ليس لديهن عملية ضبط كميات الطعام ، والمحافظة على الكمية المطلوبة من

---

(١) انظر : « سيكولوچية المرأة » ، الدكتور / زكريا إبراهيم .

المواد الكربوهيدراتية والتى يحددها الطبيب المختص لهن، وكل هذه الأمراض من السهل السيطرة عليها ، ومعالجتها بطريقة بسيطة ، لكنها تحتاج لتعاون أكثر مع الطبيب من قبل المريض ، لذلك كان على الزوج أن يدرك هذه الأمور ، ويكون على علم تام بظروف زوجته، وأحوالها حتى يقف بجانبها ، ويستمر مشوار الحياة ، ولا يتضجر من معاملتها ، أو انفعالاتها .

ومع أن كل ما ذكرناه بخصوص هذا السن بالنسبة للمرأة ، يختلف احتلافًا بينًا من امرأة لأخرى ، ويعتمد على درجة فهم المرأة وتعلمها وثقافتها ، وسلوكها فى حياتها ، فقد تمر المرأة بهذه المرحلة بدون أية مشاكل تذكر ، وتستطيع أن تتعود على حياتها الجديدة بعد أن زوجت أبناءها ، وأصبحت ولديها وقت فراغ كبير ، من الممكن أن تستثمره فى شيء نافع ومفيد ، ومن الممكن أن تساعد أبناءها فى تربية أبناءهم بدون خلق مشكلات معهم ، أو محاولة فرض آراءها عليهم ، ولكن هى بما تملك من رصيد خبرة طويل وعميق ، فعليها بإبداء النصح والإرشاد ، فإن أخذ به الأبناء فبها ونعمت ، وإن لم يأخذوا به ، فقد أدت ما عليها ونصحتهم لله ، ولها الأجر والثواب .

ومن الممكن أن تساعد زوجها فى عمله وتشاركه ، حتى لا تشعر بالوحدة ، وعلى الزوج أن يسمح لها بقدر من المشاركة فى عمله ، ولا تحاول أيضًا أن تتدخل فى عمله بطريقة تضايقه ، حتى لا يضطر لأن ينأى بعمله بعيدًا عنها ، ولا تحاول أن تمارس دور الحموات فى تعاملها مع زوجة الابن ، وتحاول أن تفرض عليها آراءها وأفكارها ، وطريقة التعامل مع الزوج ، ولتترك لأبنائها خصوصياتهم ، وتحافظ لهم على استقلالياتهم .



كيف تتعامل مع حماتك ؟

هل تحتاج الحموات إلى معاملة من نوع خاص ؟ وهل هن حقًّا السبب الرئيسى وراء مشكلات الأزواج والروجات ؟!

تُرى ما الأسباب وراء مشكلة الحموات ، وإعطاءها هذا الحَيِّز الضخم من التواجد الإعلامى بأنواعه المختلفة ؟!

هذه الأسباب وراء مشكلة الحموات :

١ - هناك مشاعر لدى كثير من الحموات بأن زوج البنت أو زوجة الابن قد سلبوا منها أبناءها ، واستولوا على عواطفهم ، وأنه وبعد أن كان اهتمام البنت وحبها كله موجه إلى الأم أصبح الزوج يشركها فى هذا الحب وذلك الاهتمام ، فيأخذ الحماة نوع من الغيرة من أزواج أولادها ، وهذه الغيرة - وهى مشاعر دفينة - تدفع الحماة لخلق المشكلات بين أزواج وهى لا تشعر أنها تخلق تلك المشكلات ، وتجد لكل مشكلة تفسيرًا مختلفًا .

٢ - كثير من الأزواج يعتبرون الحماة على درجة أقل من الأم ، فيحدث الزوج مقارنة - بداخله - بين أمه وحماته ، وتنتهى المقارنة طبعًا باعتبار الأم فوق الحماة فى كل شيء ، فمثلًا هذا الطعام الذى تصنعه حماته لا يرقى لمنزلة الطعام الذى تصنعه أمه ، كذلك طريقة عيش حماته لا تعجبه لأنها تختلف عما كانت تصنعه أمه ... إلخ .

٣ - من أكثر الأسباب أهمية وراء مشكلة الحموات عدم رضا الحماة وعدم موافقتها منذ البداية على زواج ابنها أو ابنتها من شخص معين ، هذا الرفض يظل شاخصًا أمام الأنظار ، فتعتبر الحماة كل ما يفعله زوج البنت أو زوجة الابن غير مناسب وغير صحيح ، بل وتفسّر كل شيء على حسب هواها فتتبع الظنون والشكوك ، ولا تتحقق من الأحداث .

٤ – قد يمثل الصراع بين الحماة وزوج البنت أو زوجة الابن صورة من صور صراع الأجيال ، فالحماة لها معتقدات معينة – وقد تكون مخالفة للصواب – بينما الجيل الجديد له ثقافة معينة وعلم ، ويزن الأمور بميزان آخر ، وكثيرًا ما يحدث التصادم بين هذا وذاك .

٥ – اختلاف الطبقات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية بين الحموات وأزواج الأبناء ، هذا الاختلاف حين يكون بين أناس ليسوا على درجة عالية من الإيمان بالله تعالى وقياس الناس بمقياس التقوى : ﴿ ... **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُم** ... ﴾[1] ، فإنهم يتعاملون مع بعضهم البعض بنوع من الاستعلاء والتفاخر ، مما ينشأ مناخًا مشحونًا بالمشاكل وتصيُّد الأخطاء ، والبحث عن مواطن القصور والعلل .

٦ – عدم معالجة المشكلات بطريقة علمية ، أو محايدة ، فالحماة بمشاعرها الفياضة باعتبارها أمًّا للزوج أو الزوجة فإنها تكون ضد الطرف الآخر ، الذي هو زوج ابنتها أو زوجة ابنها ولا تنظر إلى الموضوع نظرة محايدة ولكنها تتسرع بإدانة الطرف الآخر ، مما يساعد فى زيادة المشكلات وتفاقمها .

٧ – تدخل الحموات المستمر فى حياة أودلاها المتزوجين ، ومحاولة فرض رأيهن على الزوج أو الزوجة ، ومحاولة سيطرة الحماة على زوجة ابنها خصوصًا ، هذا الأمر يجعل زوجة الابن تضيق ذرعًا بحماتها مما يسبب مشكلات مع الابن (الزوج) .

٨ – الحموات وهن عادة نسوة فى سن اليأس ينسحب عليهن أعراض سن اليأس والتى سبق ذكرها ، مما يتطلب من الأزواج مراعاة مشاعرهن ، والتحلى بالصبر إزاءهن .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية (١٣) .

الأُسس السليمة فى التعامل بين الأزواج والحموات :

ينبغى تقدير بعض الأسس والقواعد فى الحياة الزوجية ، حتى لا تصبح الحموات مشكلات تستعصى على الحل ، وهذه الأسس أهمها :

١ - احترام الحياة الخاصة للزوجين : فينبغى على الحماة أن تحترم حياة الزوجين الخاصة ولا تحاول التدخل فيها ، إلا إذا طلب منها ذلك ، وينبغى على الزوج أو الزوجة ألَّا يحكى لأمه عما يحدث من شريكه من الحياة أو ما يضايقه من أفعاله وتصرفاته ، حتى لا يصبح ذلك سببًا لتدخلها بينهما ومن ثم حدوث المشاكل .

٢ - احترام الحماة وتقديرها : أيتها الزوجة الكريمة .. إن حماتك فى منزلة أمك ، وينبغى عليك احترامها وتقديرها ، فاحترامك لها هو احترام لزوجك ، وتقديرك لها أيضًا تقدير لزوجك ، وبمقدار ما تحترميها وتقدِّريها سوف يحبك زوجك ويخلص لك ، وإياك أن تحضِّى زوجك على معصية أمه وعقوقها لأنك بذلك سوف تكونين سببًا فى استحقاق غضب الله وعقابه ، فإن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر كما جاء فى الحديث الشريف ، وبالأخص عقوق الأمهات ، وفى الحديث الشريف : « إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات »[1] .

كذلك على الزوج أيضًا أن يحترم حماته ويقدرها ويناديها بأحب الأسماء إليها ، ولا يشعرها بأنها غريبة ، فحين ينادى الزوج والزوجة كل منهما حماته بقوله : (ماما) ، فإن هذه الكلمة تشعرها بالقرب والحب والاحترام ، وتساعد فى إزالة الفجوة والجبوة بينهم ، إن معظم المشاكل بين الأزواج والحموات تنشأ من سوء التفاهم بينهم وسوء الظن .

٣ - تقسيم العمل : إذا كانت حماتك أيتها الزوجة تعيش معك فى بيت واحد ، فيجب تقسيم العمل بينكما حتى تتجنبا المشكلات ،

---

(١) رواه البخارى .

ولا يحبذ الاشتراك فى عمل واحد ، لأن المرأة دائمًا لا تحب أن تشاركها امرأة أخرى فى صنع الطعام وإعداده مثلًا ، وإن حدث فالخلاف وارد الحدوث .

٤ - عدم الاتهام للغير بغير دليل : قد يسارع الزوج أو الزوجة عند نشوب أى مشكلة أو خلاف باتهام الحماة أنها وراء هذا الخلاف أو تلك المشكلة ، مما يساعد فى تعنت الطرف الآخر وتفاقم المشكلة ، فالمسارعة بإلقاء اللوم على الحماة واعتبارها مسئولة عن أى مشكلة تحدث بين الزوجين ليس من الإنصاف ولا من العدل فى شيء ، فالحموات لسن دائمًا سببًا للمشاكل ، فمنهن الكثيرات ذوات القلوب الطيبة والرحيمة ، بل على درجة عالية من العلم والخبرة والحنكة فى تسيير الأمور وعدم إثارة المشكلات .

٥ - الكياسة فى التعامل : لا تحاولى أيتها الحماة كسب ولاء ابنتك أو ابنك لك وجعله فى صفّك دائمًا ضد شريكه فى الحياة ، وإذا حدث منك شيء من شأنه أن يفسد الود بين الزوجين فلا تتمادى فيه ، وتداركى الأمر بذكاء ، ولا تحاولى كسب أحد الطرفين فى صفك ضد الآخر للتمادى فى الخطأ .

كذلك على الزوجة إذا أخطأت فى حماتها تدارك الأمر بكياسة وذكاء ، وعدم التمادى فى الخطأ أو الكذب أو استمالة عطف الزوج نحوها لتمرير ذلك الخطأ .

كما أن الزوج هو أكثر الناس مطالبة بالكياسة فى التعامل مع حماته لأنه ومن المفترض أن الرجل أكثر عقلانية ، وأقل تأثرًا بتلك الأمور التى يغضب من أجلها النساء ، فليكن الزوج هو الأكثر اتزانًا ، وهو الشخص الذى يزن الأمور بميزانها الصحيح ، وهو الذى يمتص غضب زوجته عند اختلافها مع والدته ، ويهدّئ من روعها ، ولا يزيد الأمر اشتعالًا .

٦ - اللباقة فى الحديث : لا شك أن كلٌّ منا لا يحب أن يوجِّه إليه النقد ، أو يشعر بأنه قد أخطأ فى شىء ما ، والاعتراف بالخطأ أمر شديد على النفس البشرية رغم قصورها وعلاتها ، ومن هنا كان لزامًا على الزوج والزوجة الحذر من الكلمات الجارحة أو النقد اللاذع عند التعامل مع الحموات حتى وإن كان الخطأ واضح وبيِّن ، كذلك على الحماة الحذر من تلك الأمور عندما ترى أن ثمة شىء ما خطأ يحدث فى بيت ابنتها أو ابنها لأن الزوج لا يحب أن يتدخل أحد فى حياته حتى ولو كان قريبًا إليه ، لأنه يعتبر ذلك نوع من الوصاية المرفوضة على سلطة الرجل فى بيته .

٧ - الواقعية فى التعامل : لا تطلب المستحيل أيها الزوج ولا تتوقع المعجزات ، فلا تحاول تغيير أشياء قد استقرت فى النفوس منذ زمن بعيد لدى حماتك ، ولا تصطدم مع الواقع ، لأن حماتك وليدة ظروف غير ظروفك ، وجيل غير جيلك ، ومجتمع غير المجتمع الذى تعيش فيه ، فلابد وأنه قد استقرت فى نفسها أشياء وعادات وأفكار ومفاهيم معينة ولن تستطيع أنت بسهولة تغييرها ، إن عليك فقط مجرد تقديم النصح وما تراه صوابًا بكياسة ولباقة ، ثم اترك الأمر بعد ذلك لله ، وما يُقال للزوج يُقال أيضًا للزوجة عند تعاملها مع حماتها .

٨ - لا تجعل من المثل الأعلى سببًا فى خلق المشكلات : كثير من الأزواج يجعل من والدته المثل الأعلى لكل امرأة ، فهو يريد أن تكون حماته وزوجته مثل والدته فى الطباع والخصائص وفى فن تدبير المنزل وإدارة دفته ، فهو لا يتصور النموذج النسوى الصحيح إلا من خلال والدته ، فليعلم الزوج أن كل امرأة لها طباعها وخصائصها ، ولها مميزاتها ولها عيوبها ، وهو لا يرى فى والدته عيوبًا لفرط حبه لها ، لكنه يرى القذى فى عيون الأخريات ، فليتدارك الزوج هذا الأمر .



المراجع

١ - **القرن الكريم** .

٢ - **صحيح البخارى** .

٣ - **صحيح مسلم** .

٤ - **السلسلة الصحيحة** : (للألبانى) العلامة / محمد ناصر الدين الألبانى .

٥ - **إحياء علوم الدين** : حجة الإسلام / أبى حامد الغزالى .

٦ - **مختصر تفسير ابن كثير** : الأستاذ الدكتور / محمد على الصابونى .

٧ - **الأحكام السلطانية** : القاضى / أبى الحسن الماوردى .

٨ - **فتاوى معاصرة** : الدكتور / يوسف القرضاوى .

٩ - **ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده** : الدكتور / يوسف القرضاوى .

١٠ - **الحجاب** : العلامة / أبو الأعلى المودودى .

١١ - **المرأة فى الإسلام** : الشيخ / كمال أحمد عون .

١٢ - **المرأة بين الفقه والقانون** : الدكتور / مصطفى السباعى .

١٣ - **نداء للجنس اللطيف** : العلامة / محمد رشيد رضا .

١٤ - **عندما ترعى الذئاب الغنم** : الأستاذ / رفاعى سرور .

١٥ - **بيت الدعوة** : الأستاذ / رفاعى سرور .

١٦ - **كيف تفهم الجنس الآخر** : إيفان كريستان ، ترجمة / محمد خالد .

١٧ - **الأسرة ومشكلاتها** : الدكتور / محمود حسين .

١٨ - **نفسية المراهق** : الأستاذ / رياض محمد عسكر .

١٩ - **كيف تفهم الناس** : الدكتور / إبراهيم ناجى .

٢٠ - **كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس** : دايل كارنيجى - المكتبة الثقافية - بيروت .

٢١ - **اتجاهات الشباب ومشكلاتهم** : الأستاذ / محمد عثمان نجاتى .
٢٢ - **حديث إلى الأمهات** : الدكتور / سبوك - ترجمة / منير عامر .
٢٣ - **قاموس المرأة الطبى للصحة والجمال** : الأستاذ / محمد رفعت .
٢٤ - **الخلافات الزوجية وحلول عملية** : الأستاذ / عادل فتحى عبد الله .
٢٥ - **المرأة فى التصور الإسلامى** : الأستاذ / عبد المتعال الجبرى .
٢٦ - **المرأة بين البيت والمجتمع** : الأستاذ / البهى الخولى .
٢٧ - **كيف تتعامل مع الناس** : ادموند بوليز - كورديلياكيلى ، ترجمة / السيد محمد عثمان .
٢٨ - **دعنا نفهم مشكلات الشباب** : هـ . هـ ريمرز .
٢٩ - **سيكولوچية المرأة** : الدكتور / زكريا إبراهيم .
ومراجع أخرى أشرنا إليها فى موضعها .



فهرس الكتاب



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٠١٢٧/ ٢٠٠٠